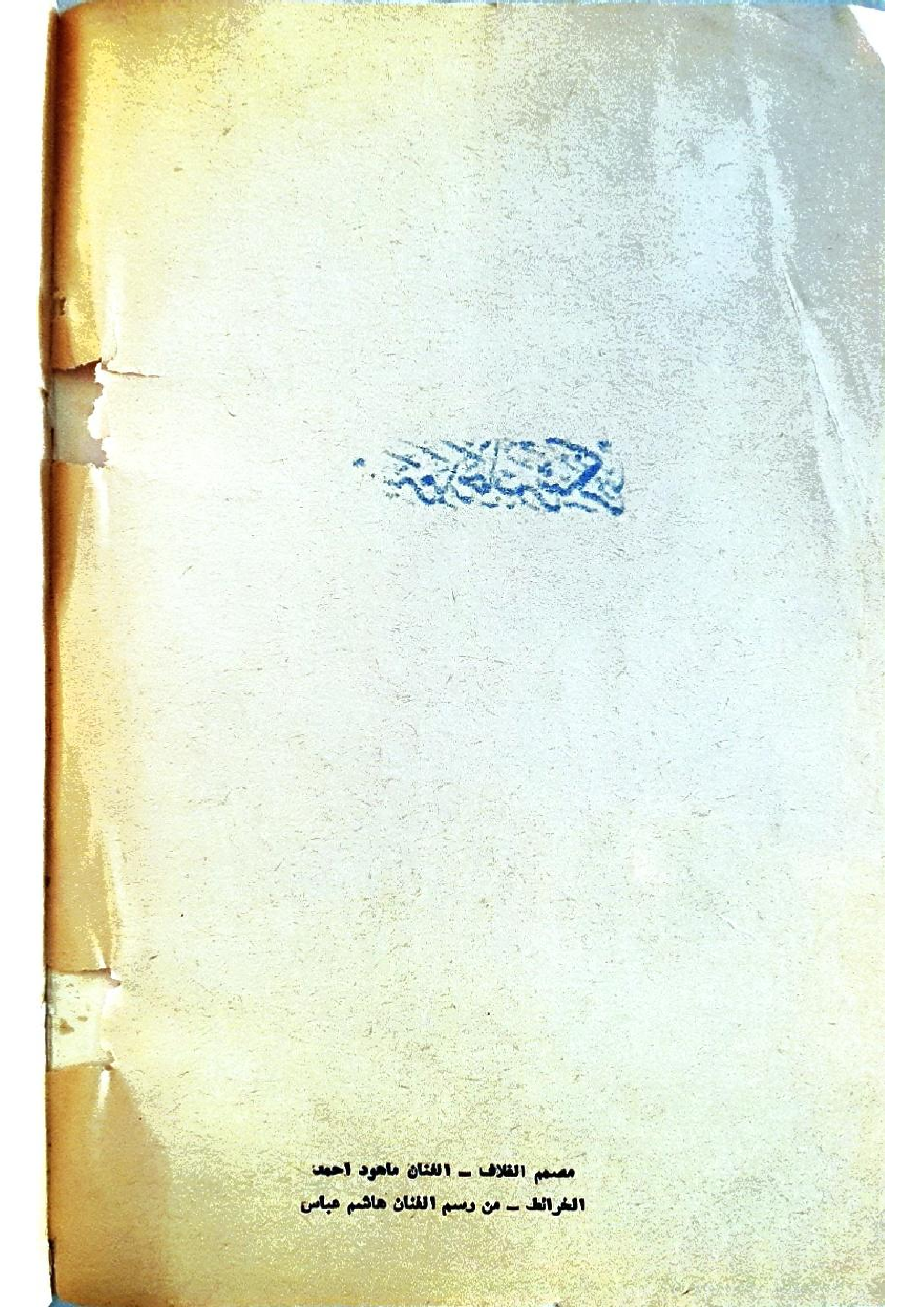

القيادة الناجحة
ومثل
دراسات تاريخية عسكرية
عن تحرير العرب
ليبيا
مصر
فلسطين
الفريق الأول الركن
صالح مهدي عماش

القيادة الناجحة ومثل

بقلم الفريق الاول الركن
صالح مهدي عماش



مصمم الغلاف ـ الفنان ماهود احمد
الخرائط ـ من رسم الفنان هاشم عباس

القيادة الناجحة

ومثل

دراسات تاريخية عسكرية

عن فتح العرب

فلسطين مصر ليبيا

بقلم

الفريق الأول الركن

صالح مهدي عماش

المؤسسة العامة للصحافة والطباعة
مطبعة الحكومة - بغداد
١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

بسم الله الرحمن الرحيم



بقلم : المهيب

أحمد حسن البكر

عرفت الفريق الاول الركن صالح مهدي عماش مؤلف الكتاب فتى ورعيته وعجمت عوده قبل أكثر من ربع قرن في الكلية العسكرية. ثم جرّبته وجرّبته معي الشدائد ،رجلا، فكان حافظ الود ملتزماً بالعهد ، ونداً للند . وهو من ضباطنا وقادتنا في الصفوة ومن علمائنا العسكريين في الذروة . واني لأعلم جيداً بأن ليس هناك في المكتبة العسكرية أو الكتب التاريخية العسكرية حول المعارك العربية ، كتاب فصلت احداثه ، ووقائعه ، حول القيادة المثلى . وبطل يقتدى ويحتذى ، كهذا الكتاب ، الذي ضمن المسمى ، بما فيه من فحوى ومحتوى .

ولا ريب ، فداهية العرب الاول (عمرو بن العاص) قد خلّد للعرب والأسلام ثلاثة أقطار ، هي من الوطن العربي في الصميم ، (فلسطين ، مصر ، ليبيا) . ولو سُمح له لضاعف العدد في وقت قصير . فهو احرى بالتخليد وتفصيل السيرة العسكرية . ووقائعه في (داثن) و (أجنادين) و (اليرموك) و (الفرما) و (بلبيس) و (عين شمس) وبابل المصرية (بابليون) و (الكريون) و (الاسكندرية) و (طرابلس الغرب) تخلد وتظهر أزهى مجد عسكري وأبهى . وقد بحثها المؤلف بحثا وافيا شافيا ، بأسلوب عسكري رصين ، وفق أحدث تقديرات المواقف العسكرية وواجبات الاركان . وخاض في تفاصيل المعارك موضحا الأسس السوقية (الاستراتيجية) والتعبوية بتعابير حديثة ومفهوم حديث . واستعمل التعابير العسكرية الحديثة،

التي لم يستعملها كاتب غيره عند البحث في تاريخنا العسكري .

وهو الاسلوب الصائب في توضيح كثير من الامور والوقائع ، وتقريبها الى الأذهان مما سهّل فهمها وهضمها وادراك الفوائد منها .

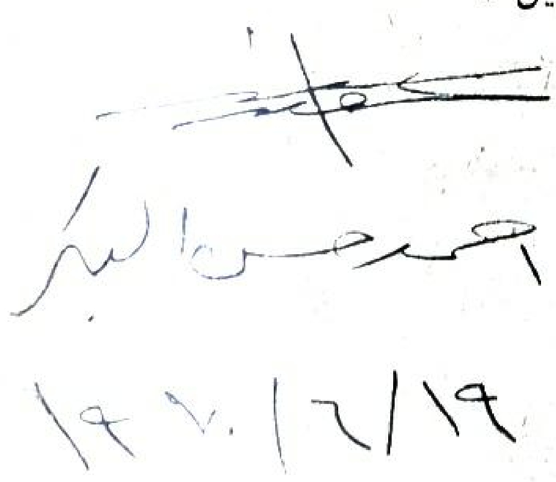
وفي هذه المحنة التي يمتحن بها العرب والمسلمون ، وامام هذا التحدي الخطير لأمتنا ، والشر المستطير النازل بفلسطين ، أدعو كل فتى من فتيان العراق والأمة العربية ، وكل ليث من العسكريين في القوات المسلحة ، وماجد من المناضلين ، الى قراءة هذا الكتاب ، وتدبر معانيه ، وتتبع خطوات القيادة والقائد فيه . لنرى، ونحن اصحاب المآثر والأمجاد ، كيف كان الاجداد ، وكيف كانت الامجاد ، وجنود الوقائع والامجاد ، وقادة الامجاد . في وقت يتكالب علينا اعداؤنا وتتداعى علينا المخالب والأنياب وقد عز النصير والمنجد . وليس لنا من نصير إلاّ بالسواعد القوية ، والقلوب العامرة ، والأذهان المتفتحة ، والنفوس المناضلة المؤمنة بأهداف الامة حتى الرمق الأخير ، كذاك الجندي القديم الذي قال وهو في مأزق :

وقولي كلما جَشَأَتْ وجاشتْ

مكانكِ تُحمدي أو تستريحي

واني لادعو للمؤلف الفاضل والقارىء الكريم بالتوفيق والسداد ، وخدمة الامة نتيجة للفائدة المتوخاة من أمثال هذه الكتب التي تحفظ التراث ، وتبعث مجد الاجداد .

والله الموفق الى سواء السبيل .



تمهيد

- ١ -

يمتاز القادة الناجحون الافذاذ الذين ارتفعوا الى قمة المجد العسكري والسياسي بصفات خاصة ، اصبحت معلومة تدرس ، وبموجبها ينتخب القادة ، ويجرى اعداد الضباط الاحداث والاعوان ليكونوا قادة المستقبل .

وقد عبَّر الجنرال الالماني (فون درغولتش) من اشهر قادة الحرب العالمية الاولى عن هذه الصفات بقوله : (أهم ميزات القائد ان يكون له دماغ مبدع . وان يكون عصاميا لا يتبع ما قد عمله غيره . يعمل ما لا يتوقعه العدو . ويتهيأ له فيحطم سلاحه المعنوي . وان يفكر دوما في أمور المستقبل . وان يتعرض لمعنويات عدوه بادراك السبق في العمل فيجعله في حيرة من أمره .

ولا ريب انه لا يوجد فن يفوق فن القيادة ، لأن مادتها مخلوقات حية تخضع لتأثيرات كثيرة ، كالخوف والتعب والجوع والتهور والمرض وكل ما يؤثر في النفس البشرية . هذا علاوة على ان مادة ووسائط الحرب ، قد اصبحت باهضة الثمن ، والفشل في القيادة يعني تدمير الاقتصاد الوطني أو ارباكه .

ولا تنحصر معضلتها في امور مجهولة كالوقت والمناخ وشتى الاحوال الاخرى فقط . بل ان هناك خصما يسعى جاهدا باستمرار وبكل ما أوتي من قوة وحيلة لاحباط الخطة واخفاقها . ولا يتعلق بعمل القائد مصير مئات الالوف من المقاتلين الذين هم تحت امرته فحسب ، وانما مصلحة وكيان الوطن أيضا .

- ٢ -

والقيادة الناجحة كانت ولا تزال العامل الحاسم في نيل الظفر . وكان لمجرد حضور (نابليون بونابرت) ساحات المعارك تزداد القوة المعنوية ورباطة جاش الجيوش المقاتلة الفرنسية بما يقابل خمسين ألف مقاتل اضافي . وقد قال نابليون في ذلك : « ليس الرجال ، انما الرجل الواحد ، هو الذي يتوقف عليه نجاح الجيش » و « القائد هو دماغ الجيش ، وليست الجيوش الرومانية هي التي قهرت الغال انما قيصر ، ولم ترتجف ـ روما ـ فزعا أمام الجنود القرطاجيين انما ارتجفت امام ـ هنيبال ـ ، ولم تكن الجيوش المكدونية هي التي اقتحمت الهند وانما ـ الاسكندر ـ » .

وهذا القول الذي يؤكده هذا القائد المحنك ان لم يكن صحيحاً كله فأن جله أقرب الى كبد الحقيقة وصميم الواقع ، كما تدلنا عليه الوقائع التاريخية .

- ٣ -

وكانت هذه الصفات ولا تزال تخلق القادة الابطال ، فهي التي رفعت القادة العرب المشهورين أمثال عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد وقتيبة بن مسلم وطارق بن زياد وصلاح الدين الايوبي الى قمة المجد . وهي نفسها التي ذهبت بالاسكندر المكدوني وهنيبال ونابليون ومولتكه وهندنبورغ ولوندورف وفون شليفن ، أمثلة يقتدى بها . وهي نفسها التي خلقت من اروين رومل ورونشتات ومانشتاين ومونتغمري ومصطفى كمال ومالينوفسكي وروكوزفسكي وجوكوف وديغول قادة يشار لهم بالبنان .

صفات القيادة الناجحة

فما هي هذه الصفات التي يجب ان يتصف بها القائد ، ســواء كان عسكريا أم سياسيا ؟

(انني أرى انها تبوب وتنضوي تحت العناوين التالية : ـ

أ ـ الصفات العسكريـة :

١ ـ سعة الاطلاع .
٢ ـ البراعة العسكرية .
٣ ـ التماس بالقطعات .
٤ ـ تحمل المسؤولية .

ب ـ الصفات العقليـة :

١ ـ اصالة الرأي .
٢ ـ الابـــــداع .
٣ ـ سرعة القرار .

ج ـ الصفات المعنويـة :

١ ـ الشـــجاعة .
٢ ـ قوة الشخصية .
٣ ـ الثقة بالنفس .
٤ ـ الثبات والتوازن .
٥ ـ الاخــلاص .

د ـ الصفات البدنيـة :

١ ـ العمــر .
٢ ـ الصحة واللياقة البدنية .
٣ ـ البشاشة وانفتاح الاسارير .

- ٥ -

ومن يتصفح تاريخ العـرب العسـكري يجـده زاخراً بالامثلـة من القـادة المبدعـين .

ولـكي يـكون المثل على ذلـك واضحـا كل الوضـوح أخترت القائد عَمْرَ (١) بن العاص السهمي للاسباب التالية :ـ

أ ـ انه عربي منا نفهم نفسيته جيدا وكل حركة من حركاته ، وكل تصرف من تصرفاته .

ب ـ يتكلم بلغة نفهمها جيدا دونما حاجة الى نقل أو ترجمة .

جـ ـ يتصف بكل الصفات القيادية المثالية المذكورة اعلاه .

د ـ شـارك في وقائـع شملت معظم الوطن العـربي ، في الحجـاز وعمان وفلسطين والاردن وسورية ومصر وليبيا ليدرك شباب امتنا العربية في الاقطار المحيطة باسرائيل كيف كان أجدادنا وكيف هو حالنا اليوم فتصح المقارنة ويسهل القياس في وقت نحن احوج ما نكون فيه الى المقارنة والقياس .

هـ ـ انه لم يكن قائدا عسكريا فحسب وانما كان سياسيا من الطراز الاول علاوة على كونه شاعراً أديباً وخطيباً فصيح اللسان .

- ٦ -

ولـكي يكون الوضوح تاما والمثل كاملا سأتناول في هذا الكتاب ـ وقد رتبته على ستة فصول ـ حياة عمرو بن العـاص موجزاً تاريخـه واسلوبه وصفاته ووقائعه متابعاً معاركه كافـة في الحجـاز والاردن وفلسطين وسورية ومصر وليبيـا . محاولا استجلاء صفات القائد الناجح في سيرته . فجعلت من ذلك الفصل الاول من الكتاب .

ثم اعقبته في الفصل الثاني ، بوصف التقدم نحو فلسطين ، وفي

(١) في حالة نصب «عمرو» يحذف الواو ، فيقال رأيت عَمْراً ، فيرجى ملاحظة ذلك .

الفصل الثالث : الزحف على دمشق وفتح القدس لتحرير فلسطين .
اما الفصل الرابع فتناولت فيه وصف الزحف على مصر واستطردت في تفاصيل المعارك التي انهت الاحتلال الروماني لهذا (المصر) العربي ، وفي الفصل الخامس تابعنا سير الجيش العربي في تحرير قطر عربي آخر هو طرابلس الغرب (ليبيا) ، ولماذا رفضت القيادة العامة فكرة التقدم نحو تونس .

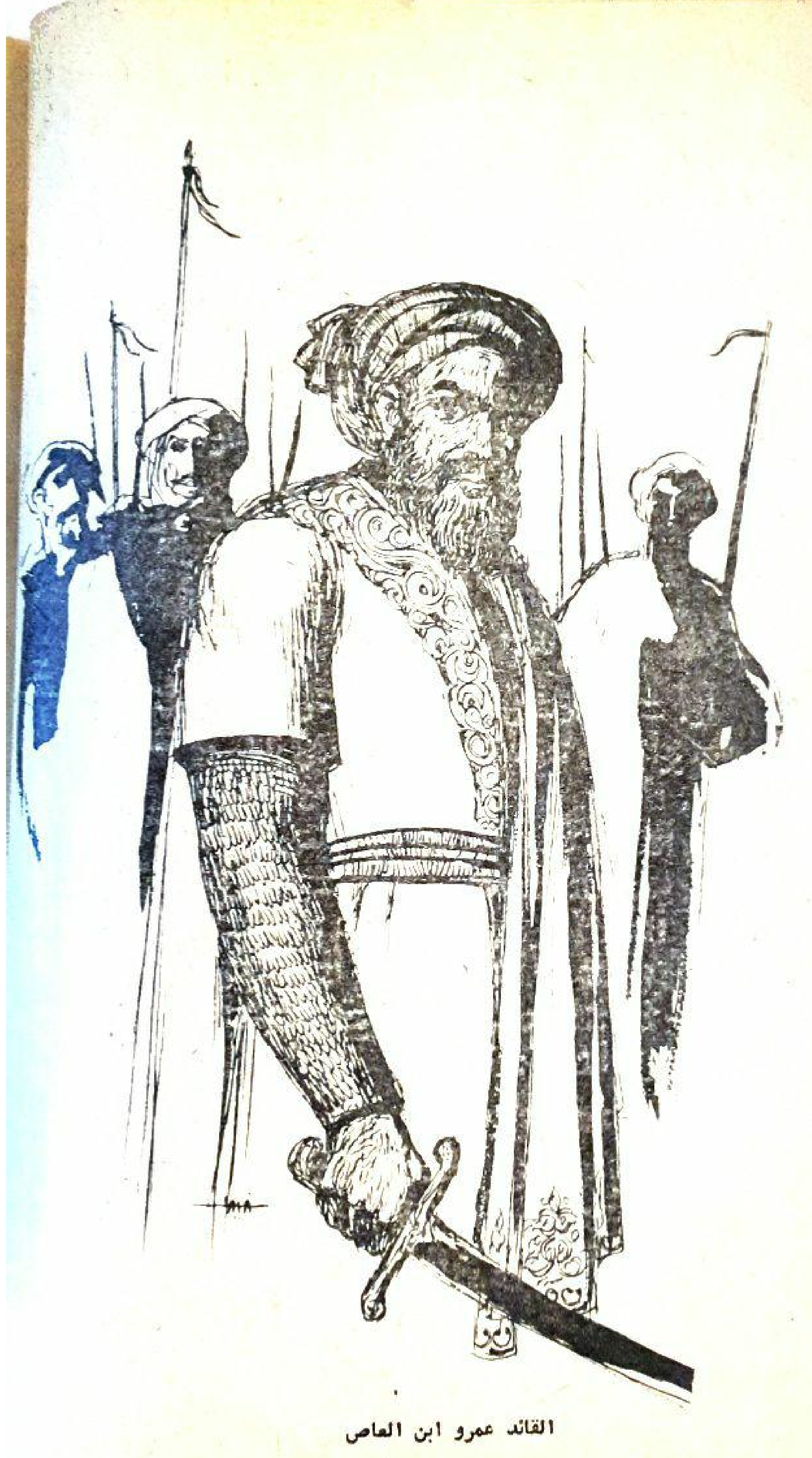
وحرصاً منا على الصفة الوثائقية لمباحث الكتاب ، رأينا من مستلزمات ذلك تزيينه بجملة من الخرائط والصور مما يفيد في توضيح الاحداث والوقائع . ولم نشأ ــ في كل ذلك ــ ان نقصر الكلام على صفة المعارك والانتصارات التي حققها عمرو بن العاص ، بل رأينا من المستحسن توشيح مضامين الكتاب بفصل يتناول الجانب الادبي في شخصية عمرو فذكرنا اقباساً من بلاغته واشعاره وخطبه والرسائل المتبادلة بينه وبين الخليفة عمر بن الخطاب وجعلنا ذلك الفصل السادس منه ، ويلي ذلك خاتمة الكتاب .

واتماماً للفائدة ، ولتسهيل الامر على القارىء الكريم ، الحقنا بالكتاب فهارس تناولت اسماء الاعلام والمواقع الجغرافية والبلدانية لتيسير الرجوع اليها ، فان وفقنا في عملنا فذلك حسبنا ، والله الموفق الى سواء السبيل .

ولا يسعني ــ وقد انتهى الكتاب بالشكل الذي اتمناه ــ إلا ان اشكر الاخوة الذين عاونوا في اخراجه وطبعه ، واخص منهم الاستاذ طه باقر بجامعة بغداد والاستاذ سالم الآلوسي بوزارة الثقافة والاعلام والاستاذ حافظ الدروبي ، عميد اكاديمية الفنون الجميلة لمساعدتهم القيمة فأجازي جهودهم بالثناء العاطر والشكر الوافر .

صالح مهدي عماش

٥ـ٦ـ١٩٧٠



القائد عمرو ابن العاص

الفصل الاول

عمرو بن العاص

الفصل الاول

عمرو بن العاص

موجز حياته :

هو عمرو بن العاص بن وائل بن سعيد بن سهم القرشي من قادة العرب وأعيانهم وزعمائهم في الجاهلية .

كان والده تاجرا يتجر ببضائع اليمن والحبشة الى الشام وببضائع الشام الى الحجاز واليمن .

وقد اختلف الرواة في مولده كما اختلفوا في سنة عندما حضرته الوفاة. فمنهم من ذكر انه عاش اثنتين وستين سنة. ومنهم من قال ان سنه تسعون سنة ومنهم من يؤكد انه مات وله مائة عام . وذكر (النووى) انه مات وسنه سبعون سنة . وقد رجح (بتلر) قول (النووي) على غيره من الاقوال . لانه لو مات في التسعين لكانت سنه حين فتح مصر ستا وستين سنة بحيث تصعب عليه قيادة الجيوش الى ساحة النصر ، وتحمل المشاق . ولأن من غير الممكن تصوره أن يمثل ذلك الدور الخطير في الحرب والسياسة في موقعة (صفين) وقد اشرف على التسعين .

* * *

على ان ماحققه (العقاد) في كتابه (عمرو بن العاص) هو ان عمره حين حضرته الوفاة كان سبعاً وثمانين سنة . وعندي ان هذا هو الصحيح . فأن عمرو بن معد يكرب[1] الزبيدي حينما ابلى في القادسيةالبلاء الحسن وبز الشباب حميةوبسالة واقداما، كانت سنه قد ناهزت المائة . وان (هند نبورغ ومولتكه وفوش وجوفر وبوك ورونشتات) قد ناهزت سنهم الستين أو تجاوزتها عند بعضهم بكثير

---

(١) يكتب الاسم بصيغة اخرى هي «معدى كَرِب» .

ندما كانـوا على رأس القيـادة بل ان شرشل كان يدير الكومنولث ويؤثر في السياسة العالمية وقد أشرف على الثمانين .

وقد شب عمـرو ومارس التجارة مع أبيه ، فسافر الى اليمن وانحاء الجزيرة العربية . وطاف ببلاد الشـام واجتاز البحر الاحمر الى الحبشة وزار مصر . وقد اكسبته ممارسة التجارة وهذه الاسفار الطويلة فوائد جمة في معرفة أحوال الامم الاجتماعية ، مما كان لـه تأثير كبير في تثقيف عقله وسمو مداركه .

* * *

وبعث الرسول محمد (ص) فقاوم عمرو بن العاص الدعـوة الاسلامية وطارد المهاجرين الى الحبشة اذ انتدبته قريش لهذا الواجب الخطير ثقـة منها بأنه الوحيد الـكفوء لهذه المهمة . وحـاول اقنـاع النجاشي ملك الحبشة بالقضاء عليهم . ثم عاد فأسلم فكان ممن يعتمد عليهم في قيادة الجيوش . فولاه الرسول (ص) قيادة حمـلة (ذات السلاسل) وذلك عندما تجمعت قضاعة لمهاجمة المدينة ففزع الناس عدا عمرو بن العاص وسالم مولى ابى حذيفة . فقـد اخـذ عمرو سلاحه وذهب الى المسجد واليه أشار النبي عندما خطب بالنـاس قـائلا :

الا كان فزعكم الى الله ورسـوله ، ألا فعلتـم كمـا فعل هذان الرجلان المؤمنـان ؟) .

* * *

وبعد وفاة الرسول (ص) وارتداد مسيلمة الكذاب اتصل بـه عمرو وحاول اقناعه بالعودة الى الاسلام وحاججه وطلب منـه ان يشرح له رايه اذ قال له عمرو **(أعرض لي ما تقول)** فذكر له مسيلمة رايه ودينه الكاذب فقال له عمرو **(والله انك لتعلم انك من الـكاذبين)** لغضب مسيلمة وتوعده .

لم اشترك في (حـروب الردة) وقاوم المرتدين اذ قاد جيشـا لتاديب قضاعة في الحجاز وكان قد حاربهم من قبل فهو يعرف المنطقة

ويعلم صفات عدوه فتمكن من تأديبهم بسرعة . ثم سيّره ابو بكر الصديق لفتح فلسطين فابلى في الحرب وقيادة الجيوش البلاء الحسن . ثم وجهه عمر بن الخطاب لفتح مصر أو على وجه ادق ، كان هو صاحب الفكرة والاسلوب وبقي بمصر واليا ينظم امورها ، ثم تمكن من اقناع الخليفة عمر بن الخطاب بالسماح له في فتح طرابلس فكان له ما أراد ووكل عليها عقبة بن نافع الفهري وعاد الى مصر . وعزل من ولاية مصر في خلافة عثمان ولم يكن ذلك عن ضعف أو سوء عمل وانما كان من فعل الخليفة الضعيف تجاه القائد القوي . لم يعزله عمر بن الخطاب الخليفة القوي وانما عزله عثمان بن عفان وتلك لاشك من سخريات القدر . بل من الامور التي تلقي ضوءاً على تصرفات عثمان بن عفان لمساعدة أقربائه وأبناء عشيرته وذوي رحمه فقد عين بدلا منه واليا على مصر أخاه في الرضاعة (عبدالله بن سعد بن أبي سرح) .

وعندما غزا الروم الاسكندرية اعاده عثمان مضطراً الى ولاية مصر كي ينقذ الاسكندرية وما ان أتم الواجب حتى عزله ثانية وأعاد أخاه في الرضاعة عبدالله بن ابي سرح اليها . ثم عاد الى ولاية مصر في خلافة معاوية فاستخلصها من قبضة الامام علي . وشارك بشكل جدي وأساسي في الصرع الدامي الناشب بين الامام ومعاوية في الشام . فقاد الجيش الاموي في صفين ، بل كان النجم اللامع في الصراع سواء في الحرب أو السياسة والدهاء وعاد الى مصر حتى وافاه الأجل المحتوم في عيد الفطر للعام الثالث والاربعين للهجرة الموافق ٦٦٤ ميلادية فدفن بجوار المقطم من ناحية السفح عند ضريح الامام الشافعي القائم الآن عليه رضوان الله وضمَّ معاوية خزائنه الى بيت المال ، واسند ولاية مصر الى اخيه عتبة بن ابي سفيان ..

* * *

صفات القيادة البارزة في عمرو

١ ـ الصفات العسكرية

أ ـ سعة الاطلاع :

لقد نشأ عمرو وشب في بيت معروف كان يفصل ويحكم بين القبائل في شتى المجالات فاطلع على أحوال الناس وطبائعهم وخصالهم ورغباتهم ومواطن قوتهم ونقاط ضعفهم . وتعلم الحكمة من أبيه (العاص بن وائل) . والعاص هذا كان من الرجال الافذاذ في الجاهلية بل ذكره القرآن الكريم ندا للرسول (ص) فعندما توفى القاسم الابن الثاني للرسول (ص) قال العاص : (ان محمدا أبتر) أي منقطع العقب ، فتألم الرسول كثيرا . فنزلت الآية الكريمة (ان شانئك هو الأبتر) أي ان مبغضك هو المنقطع عن الخير . وفيه نزلت الآيات (أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين) ، وفيه وأصحابه ومنهم الوليد بن المغيرة والد خالد بن الوليد ، نزلت الآيات من سورة ـ الكافرون ـ (قل يا أيها الكافرون ، لا اعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين) . والعاص هو الذي قال للنبي (لو جعل معك يامحمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك) نزلت الآيات من سورة الانعام (وقالوا : لولا انزل عليه ملك ، ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) .

* * *

وكان عمرو بن العاص من العرب القلائل الذين يجيدون القراءة والكتابة . فهو لذلك يعد من أثقفهم .

ان ممارسته التجارة مع ابيه وكثرة اسفاره قد اكسبته فوائد كثيرة في الاطلاع على أحوال البلدان وشعوبها ومناخها ومسالكها وعوارضها مما كان له التأثير الاكبر في تثقيف عقله وسمو مداركه ولم

يكن صاحبنا تاجرا فحسب بل كان قائدا ماهرا وسياسيا محنكا وشاعرا مجيدا حتى اصبح من ادهى دهاة العرب ان لم يكن ادهاهم جميعا . ومن ابطالهم ومن ذوي الراي فيهم . وانه قد اوتي من الشجاعة والاقدام وحسن البلاء ، وكذا العلم والمعرفة والحزم والحكمة والوفاء وثبات العزيمة والدهاء ، وغير ذلك من جليل الصفات ، مالم يجتمع مثلها الا في القليل النادر من مشاهير الرجال ، وقد انعكست هذه الصفات على صحيفة فكره فكان العربي المثقف الواسع الاطلاع . ان سعة اطلاعه هي التي جعلته ينتخب ميدان المعركة في اليرموك . ومعرفته بطبيعة الارض هي التي جعلته يحتل موضعا خلف الروم فياليرموك ويقطع عليهم طريق انسحابهم . وسعة الاطلاع هذه هي التي جعلته يقترح على الخليفة عمر بن الخطاب ويلح في تحرير مصر . ولهذا كان عمرو بن العاص فريدا في عصره، نابغة بين قومه ، ونابا من أنياب العرب ، وليثا من ليوثهم ، ودعامة من اقوى دعائمهم ، صادق العزيمة ، قوي الحجة .

ومن كانت هذه صفاته وعلى هذه الدرجة من الثقافة وسعة الاطلاع ، فهو كفوء للقيام بعظائم الامور وأهل لتسنم أعلى مراتب القيادة ، ولعلي لا اجانب الصواب اذا قلت ان تاريخ العرب لم يــر مثل (عمرو بن العاص) قائدا .

* * *

ب ـ البراعة العسكرية :

لقد كان (عمرو بن العاص) من أبرع القادة العسكريين العرب في التاريخ وليس أدل على ذلك من توليه حملة (ذات السلاسل) في عهد الرسول (ص) بالرغم من تأخره في الاسلام . وقد كان من جنده في هذه الموقعة زعماء قريش ومنهم ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابو عبيدة عامر بن الجراح . وما أرسله الرسول (ص) الا لرد هيبة المسلمين بعد هزيمتهم في (مؤته) يوم قتل قادتهم فسحبهم (خالد ابن الوليد) الذي عابه المسلمون بقولهم (يافرار فررتم في سبيل الله) وعندي ان اختيار عمرو لهذا الواجب لاكبر دليل على انه ابرع القادة

المسلمين في نظر الرسول (ص) . والا لماذا لم يندب لهذا الامر الخطير خالدا ابن الوليد او سعد ابن ابي وقاص أو ابا عبيدة الجراح . لقد تقدم نحو قضاعة في مسير ليلي فكان يسير ليلاً ويكمن نهاراً محافظة منه على مبدأ الأمن وكان عدد المسلمين في هذه المعركة قليلا فمنعهم من مطاردة العدو بعد انتصارهم وكان البرد قارصا فمنعهم من ان يوقدوا نارا ، حتى قال (من أوقد نارا قذفت بـه فيهـا) ، فشكوه الى الرسول (ص) فاستجوب الرسول (ص) عمْراً حول شكاوى الجيش ، فقال عمرو (كرهت ان آذن لهم ان يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم . وكرهت ان يتبعوه فيكون لهم مرد) . فأعجب الرسول به أيما اعجاب .

ومن آيات براعته العسكرية انتصاره على مائة الف مقاتل من الرومان بجيشه البالغ تسعة آلاف في (اجنادين) في فلسطين . اذ عندما علم بكثرة عدد الروم لم يمهلهم حتى يهاجموه ، بل بادر هو بهجوم خاطف بكتائب الخيالة وكانت عدته ألف فارس ، على مقدمة الروم المتكونة من عشرة آلاف مقاتل ، وقتل بيده القائد الروماني فانهزم الروم هزيمة منكرة . وعندما تكاثر عليه الروم في اليوم التالي فبلغ عددهم مائة ألف مقاتل وهم جيش هرقل الذي اندفع كما اسلفنا الى فلسطين بقصد تدمير جيش عمرو والتقدم الى العقبة ثم الى (مؤته) لحصر الجيوش العربية الاخرى في اليرموك وتدميرها ، عمد عمرو الى الحيلة فأوعز الى جيشه بوجوب القضاء أولا على خيول الروم وحيواناتهم ودوابهم كي تكون مشاتهم فريسة لفرسان العرب . فحاقت بالروم هزيمة منكرة ثانية خسروا فيها خمسة عشر الف مقاتل بينما كانت خسائره مائة وثلاثين قتيلا . وفي ميدان اليرموك كان هو البطل الذي أشار بوجوب التجمع في اليرموك . وهو الذي تسلل بقطعاته عبر صخور جبل العرب واحتل موضعا خلف الروم على طريق انسحابهم الى دمشق وصاح (أيها الناس ابشروا حصرت والله الروم ، وقل ما جاء محصور بخير) وفي صفين كان هو القائد الفعلي الذي واجه الامام (علي بن ابي طالب) وقد قارع الامام بالفن العسكري والحيل الحربية وتغلب عليه وفرق شمل

جيش الامام علي ، وبدده . تلك حقيقة يجب ان نذكرها كدليل على كفاءة عمرو الفذة ، اذ كان امامه علي بما عرف عنه من شجاعة ودراية في الحروب واصالة في الراي . وفي القتال الليلي في (صفين) وجد عمرو ان الخيالة لا تنفع فترجل وطلب الى جيشه ان يترجلوا فاندفع نحو جيش الامام علي (الذين ترجلوا ايضا عندما راوا عمرا يترجل) بهجوم عاصف بالمشاة وكان هو في مقدمة الصفوف فدار التحام رهيب بالسلاح الأبيض ابلى فيه الامام علي وعمرو بلاء حسنا وادى دور المقاتل المثالي بالسلاح الابيض وكان عمرو يقاتل وهو ينشد :

وصبرنا على مواطن ضنك　　　　وخطوب ترى البياض الوليدا

* * *

ج ـ التماس بالقطعات :

لقد كان عمرو بن العاص من اكثر القادة العرب تماسا بقطعاته وربما كان اكثرهم اطلاقا . وقد كادت هذه الصفة ان تورده موارد الهلكة عدة مرات . ففي (يوم العربة) حمل بنفسه وقتل قائد الروم بيده . وفي حصار (اجنادين) اجتاز الأسوار وقابل قائد الروم (الاريطيون) او (الارطبون) كما يسميه العرب ، على انه من رسل عمرو بن العاص . وكذلك فعل مع قائد غزة . وفي الاسكندرية اجتاز اسوارها في اول التحام بحاميتها حتى تضاربت الروايات بشأن اسر الروم له . وقد كان هذا الحال طبيعيا في الجيوش العربية وقل ان نجد قائدا عربيا بعيدا عن التماس بقطعاته .

* * *

د ـ تحمل المسؤولية :

ولعل عمرو بن العاص اكثر القادة العرب تحملا للمسؤولية . فهو في حملة (ذات السلاسل) قد اصر على تحمله للمسؤولية ولم يقبل اعطاء القيادة الى (أبي عبيدة) . وقال له (انما جئت لي مددا) . وان فتحه لمصر ليدل اكبر الدلالة على تحمله للمسؤولية . فقد الخ

على فتحها بينما كان الخليفة (عمر) لا يرى هذا الراي ويتهيب فتح مصر حتى انه كتب الى عمرو كتابا يقول فيه ان جاءك كتابي ولم تدخل مصر فارجع وان دخلتها فاستمر بالتقدم . ويقال ان كتاب الخليفة وصله وهو لم يدخل مصر بعد . فلما دخلها قال (عمرو) : « ياقوم استمعوا ان الخليفة يأمرني بفتح مصر إن دخلتها وها أنتم ترونني داخل مصر » . فاستمر في تقدمه .

وأراد فتح شمال افريقيا وألح في ذلك وفعلا تقدم على مسؤوليته فاحتل طرابلس . ولكن الخليفة منعه من المضي في التقدم الى تونس .

وفي اليرموك تسلل عبر الصخور البركانية شرقي درعا واحتل موضعا على طريق انسحاب الروم نحو دمشق .

* * *

٢ ـ الصفات العقليـة

أ ـ أصالـة الـرأي :

وقد اشتهر هذا البطل القائد بسـداد الرأي في الجاهليـة والاسلام ولاريب فهـو قد نشأ وترعرع في بيت معـروف في (مكـة) وكانت (مكة) مركز الحركة التجارية والادبية في شـبه الجزيرة العربية يختلف اليها العرب من كل حدب وصوب ويأتونها (على كل ضامر من كل فج عميق) يتناشدون الاشعار ويتناقلون الادب والحكمة فتغرس هذه المظاهر الاجتماعية والادبية في نفوس اطفالها المواهب النادرة والقرائح الوقادة والسجايا الكريمة والخصال الساميـة والعادات الحميدة، فتدفع بهم الى الاعمال الجليلة والغايات السامية.

وقد كان (عمرو بن العاص) أحد هؤلاء الافذاذ من ذوي الرأي السديد ولعله كان اكثرهم سدادا . ولاصالة رايه انتخبه الجاهليون من قريش للذهاب الى الحبشة مندوبا عنهم لاقناع (النجاشي) ملك الحبشة بطرد المسلمين الذي هاجروا اليها . واعتقد ـ لخطورة هذا الواجب ـ لو كان لديهم من هو أفضل من عمرو لبعثوا بـه . وندبـه الرسـول (ص) الى ملـكي عمـان (جيفر وعبـاد) ولدى الجلنـدي فكان المبعوث الوحيد الناجح اذ تمكن من اقناعهما فأسلما بينما لـم ينجـح رسل الرسول الآخـرون في أقناع كسرى وقيصر والنجاشـي والمقوقس الخ ... واعتمد عليه ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ومعاوية بن ابي سفيان في الكثير من عظائم الامور .

ومن ابلغ الادلة على اصالة رايه اختياره موضع اليرموك ميدانا للمعركة قبـل وقوعهـا . فبعد أن تقـدم (هرقل) امبراطور الروم بجيوشه العظيمة لسحق الجيـوش العربيـة شاور القـواد العـرب (عَمْرًا) في الامر فأشار عليهم بالتحشد والتجمع في (اليرموك) وقال (ليكون لهم بذلك قـوة يدفعون بها الـعدو اذ لا يتأتى لهم النصر الا بالمعونة) . وقد اقره الخليفة والقائد العام للقوات المسلحة (ابـو

بكر الصديق) على هذا الرأي وكتب الى القواد ان يتبعوا نصيحة قائدهم (عمرو) .

ومن اصالة رايه إلحاحه على فتح مصر وتحريرها كي لا تكون قاعدة الروم في التحشد لاعادة الكرة والقيام بهجوم مقابل على بلاد الشام وكان له ما اراد . ومن أقواله البليغة التي تدل على اصالة رأيه قوله (ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ولكنه الذي يعرف خير الشرين) . ومن أقواله البليغة (موت ألف من العلية اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة) .

وسأله يوما « معاوية » من أبلغ الناس ؟ فقال (عمرو) « من كان رأيه رادا لهواه » . قال معاوية : فمن أشجع الناس ؟ ، قال (عمرو) : « من رد جهله بحلمه » .

* * *

ب ـ الابداع :

وعندى ان «ابن العاص» اكثر القادة العرب ابداعا . فقد كان مبدعا خداعا طفت شهرته وعمت الافاق واصبحت حيلته وخداعه وابداعه مضرب الامثال وتحدث بها القاصي والداني او كما يقول المثل قد سارت بها الركبان .

فقد سعى الى الحيلة لدى النجاشي ملك الحبشة لاخراج المسلمين المهاجرين اليها في هجرتهم الاولى تخلصا من اضطهاد قريش لهم في مكة . وفي فلسطين التقى (عمرو) بداهية الروم وصاحب الحيلة والابداع (الارطبون) في اجنادين ففزع العرب في كل مكان لوجود القائد الروماني هذا . وتهافت الناس على الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة يسألونه زيادة الاهتمام وايجاد مخرج للجيش العربي في فلسطين قبل ان يأخذه الارطبون بالحيلة والمكر ويقلبه بالدهاء . وقالوا ان في فلسطين «الارطبون» فقال عمر بن الخطاب . وماذا أعمل (رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب

فانظروا عم تنفـرج) . ولمـا استعصت عليه قلعـة (أجنادين) ولـم يتمكن من فتحها ولم يحصل عن طريق المراسلين مايشفى غليله ويرضي حاجته عن اخبار الروم سعى بنفسه الى الارطبون ، فدخل عليه وكأنه مراسل بعث بـه عمـرو بن العاص . وحاوره وسمع كلامه واستطلع اثناء دخوله وعند خروجه مواقع الروم على الاسوار وقوتهم . المهـم انـه حصل على ما اراد . فشك الداهية الارطبون فيه وحدثته نفسه بان هذا الرجل ان لم يكن عمرو بن العاص فهو من يأخذ عمرو برأيه . إذ انه كان يعرف دهاء عمرو وقوة حجته وبلاغته وفصاحته ، فوضع له في الطـريق من يقتله .

وفطن (عمرو) الى الموضوع فاحتال بما عرف عنه من الدهاء ، فعاد بعد قليل الى الارطبون وقال اسمع ياهذا . لكي لا يطول الاخذ والرد والجدل بين القائدين عن طريق شخص واحد . لا اخفيك نحن عشرة يأخذ عمرو برأينا وقد سمعت منك اليوم ما اقنعني فهل تسمح ان اجلب اليك العشرة او بعضهم لتحدثهم بما حدثتني فنكون اقـدر على اقناع (عمرو) . فعندئذ تكون خدمة كبيرة في سبيل السـلم والانسانية . فأرتاح (الارطبون) كثيرا ، وقال في نفسه اقتل عشـرة بدلا من واحد ، فوافقه على كلامـه وانصرف (عمرو) آمنا اذ أن الارطبون امر بعدم التعرض له بشر اثناء خروجه . فنجا من شـر مستطير ومأزق حـرج قلما يضع القادة الكبار أنفسهم فيه . وبعد ان علم (الارطبون) بالخدعـة الـكبيرة التي انطلت عليـه قال « خدعني الرجل هذا أدهى الخلق » . وبلغ ذلك الخليفة (عمر بن الخطـاب) فقال (غلبه عمـرو ولله در عمـرو) .

وبعد ان وقف عمرو على حالة الجيش الرومي زحف عليهـم بهجوم صاعق ودارت معركة ضاربة انتهت بهزيمة الروم واحتـلال (اجنادين) .

وهكذا قد أبـدع داهيتنا في ذهابـه بنفسـه الى قائـد الروم وداهيتهم ثم ابدع في تخلصه ونجاته ، وتلك أمور لا تنتظر من قائـد من قادة زمانه من العـرب أو غيرهم سواه .

ومن ايات ابداعه ايضا اشارته على جيش معاوية برفع المصاحف على رؤوس الرماح في واقعة (صفين) على الفرات في سورية ، ذلك الابداع الخطير الذي قلب به الموقف راسا على عقب ، واوقع في جيش (الامام علي) الفتنة والانشقاق والتمرد بعد ان أوشك جيش (الامام علي) على ابادة جيش معاوية بن ابي سفيان .

وتفصيل الخبر ان معاوية لما راى الهزيمة آتية لاريب فيها وان جيشه قد ترنح من شدة الضربات التي سددها اليه جيش (الامام علي) قال مناديا (عَمْراً ابن العاص) « هات مخبأتك يا أبن العاص فقد هلكنا » أي هل لديك مايمكن ان تبدع به وتخرجه لانقاذنا . فعمد عمرو الى ماعمد اليه . ولم يكن عمرو من المبدعين في المجال العسكري فحسب وانما كان القائد العربي الوحيد الذي أشتهر باعماله التنظيمية وابداعه في تدبير امور القطر المصري . فقد نظم الري على احسن حال وشق الترع لاغراض الري والمواصلات ، وقام باحصاء السكان والاموال . ووضع المقاييس في نهر النيل ، بل قام باهم واخطر عمل انمائي واقتصادي وتنظيمي الا وهو شق الترعة التي توصل النيل بالبحر الاحمر وبذلك اوصل البحر الابيض المتوسط بالبحر الاحمر وهي نفس فكرة قنال السويس فيما بعد .

* * *

وقد أنشد عبدالله بن الزبير بعد وفاته ذاكرا دهاءه وحيلته وابداعه قائلاً :

الم تر ان الدهر أخنت صروفه
على عمرو السهمي تجبى له مصر
فلم يغن عنه حزمه واحتياله
ولا جمعه لما اتيح له الدهر
وامسى مقيما بالعراء وظللت
مكايده عنه واموالة الدثر

ج ـ سـرعة القـرار :

وقد امتاز البطل (عمرو) بحضور البديهة بشكل لم يسبق لـه مثيل ، فقد احصى العرب دهاتهم فعدوا اربعة هو منهم . وجعلـوا لكل واحد منهم مزية يمتاز بها في دهائه . فقالوا (ان معاوية للروية وعمراً ابن العاص للبديهة والمغيرة للمعضـلات وزيادة لـكل صغيرة وكبيرة) . والمقصود المغيرة بن شعبة وزياد بن ابي سـفيان الملقب « زياد بن ابيه » .

ولا شك ان حضور البديهة تترتب عليه سرعة القرار . وان رجلا عبقريا وقائدا شهيرا خاض المعارك وقاد الجيوش الى النصـر وكان حاضر البديهة لابد وان يكون سريع القرار اكثر من غيره مـن القادة الذين لم يتصفوا بحضور البديهة . ومن اوضح الادلة عـلى سرعة قراره ما فعله عند فتح مصر ، فقد كانت ادوات الحصار في جيشه لاتعينه على اقتحام سريع للحصون المنيعة لذلك نراه عندما اصطدم بحصن بابل (بابليون) حاصره ولكنه أتخذ فجأة قرارا سريعا بالزحف على الصعيد ومنطقة الفيوم ، ليجر حاميات الفيوم والصعيد على الانكماش في اماكنها ومنعها من ارسال النجدات الى الحاميـة المحصورة في (بابليون) . وبالأمكان القـول ان جميـــع خططـه في فتح مصر اعتمدت على المباغتة وسرعة القرار . وكان يضطر اعداءه الى تبديل خططهم وتحـويل معسكراتهم كلما تحـرك شمالا أو جنوبا حركة مفاجئة لا يعرفون ما يعقبها .

فبينما هم يتجمعون في الفيوم اذ هو يتخذ قرارا سريعا فيزحف شمالا نحو «منف» عاصمة الفراعنة ، بينما يوهمهم انه متوغل فـي الجنوب الى النوبة وقد اعانته على ذلك سرعة الخيول العربية وخفة العـــدة .

* * *

٣ ـ الصفات المعنويـة

أ ـ الشـــجاعـة :

كان عمرو بن العاص شجاعا ومثالا حيا للشجعان . فهو شجاع في الجاهلية حيث قطع الفيافي والقفار وطالت به الاسفار ثم ازدادت شجاعته بالايمان . وقد تسابق مع خالد بن الوليد لأخذ الراية في (اليرموك) فغلب عمرو خالداً وكاد يقتل لشدة اقدامه وشجاعته .

ولولا شجاعته لما القى بنفسه عدة مرات في مواقف محرجة ، عندما كان يدخل على الاعداء بصفته احد مبعوثي (عمرو) . وقد اظهر في فتح مصر من ضروب الشجاعة ما يحير العقول . فقد ذكر البطريق (اوتيخوس) عن فتح الاسكندرية «ان شجاعة العرب في القتال كانت كشجاعة الاسود . فردوا هجمات الروم المتواصلة وكانوا يقابلون هذه الهجمات بالمثل فيحملون على اسوار المدينة وابراجها ، وفي كل هذه الحملات كنت ترى سيف ـ عمرو ـ ولواءه يتلألأن في مقدمة المسلمين » .

وقد ذكر (ايرفنج) ان عمراً بن العاص وقع أسيرا في الاسكندرية وانه عندما وقف بين يدي الحاكم الروماني تكلم كلاما يدل على الشجاعة وسمو المركز فأشتبه به الحاكم وتصور انه (عمرو بن العاص)فأمر بقتله . وكان بجانبه خادمه ـ وردان ـ فصفعه واستكثر عليه الكلام ولامه امام الروم ان يدعي اشياء ليست لمثله من الجنود البسطاء . فعاد الحاكم الروماني الى الغاء امر القتل اذ تيقن ان الاسير لابد ان يكون احد الجنود وليس القائد فنجا من الموت ، ولكن «ابن الحكم» و «المقريزي» يقولان بان العرب اقتحموا حصن الاسكندرية ثم تمكن الروم من اجبارهم على التراجع بهجمات مقابلة شديدة وسريعة ما عدا اربعة حصروا وراء الاسوار بينهم (عمرو بن العاص) ومسلمة بن مخلد فطلب منهم الروم الاستسلام فأبوا . فطلب الروم ان يبرز احدهم الى احد الروم الابطال فأن غلب العربي اطلقوهم وان قتل العربي استسلم اصحابه فقبل الاربعة

بذلك واراد (عمرو) ان يبرز فمنعه «مسلمة» بعد الحاح فبرز مسلمة للرومي فقتله . فوفى لهم الروم بما عاهدوهم فخرجوا ولم يعلم الروم حينها ان عَمرا أحدهم ولكنهم اسفوا غاية الاسف بعدئذ على ما فاتهم .

وتلك لعمر الحق حادثة تتجلى فيها اروع آيات الشجاعة . فعمرو هو القائد العام ولكنه يقتحم الصفوف ويقاتل مع القطعات الامامية . وينسحب جيشه ويبقى هو يقاتل مع المؤخرة ويحاول مبارزة اعدائه بنفسه ، فأية جراءة واية شجاعة أعظم وأي دليل أقوى وأظهر من ذلك .

* * *

ب ـ قوة الشخصية :

رُوي عن عمرو ابن العاص انه قال (ماعدل بي رسول الله «ص» وبخالد بن الوليد أحدا من أصحابه في حربه منذ أسلمت) . وقد ولاه حملة ذات السلاسل وكان بين رجاله ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابو عبيدة عامر بن الجراح . فأية قوة شخصية هذه التي تسيطر على ابي بكر وعمر وابي عبيدة . لقد اسلم سنة ثمان للهجرة . وكان معه عندما قدم للمدينة خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة فقال الرسول (ص) عندما راى عَمرا (القت اليكم مكة افلاذ كبدها) فتصور قوة شخصيته ومن الادلة الاخرى على قوة شخصيته ما عرفناه عن فرحة النبي محمد (ص) باسلام عمرو بن العاص حيث اصبح مطمئنا على الدين وقوته وما وصل اليه من توسع فقال (اسلم الناس وآمن عمرو بن العاص) . ومما يدلل على قوة شخصيته رفضه لاسلوب الخليفة عمر في محاسبته على أمواله فكتب اليه عمرو رسالةجاء فيها : (أو والله لوكانت خيانتك حلالا ماخنتك وقد ائتمنتني فأن لنا أحسابا اذا رجعنا اليها اغنتنا عن خيانتك) .

وكان من قوة الشخصية بدرجة ان (عمر بن الخطاب) كان يقول عنه (ماينبغي لأبي عبدالله ان يمشي على الارض الا اميرا) أي حاكما

او قائدا . وكان عمر بن الخطاب عندما يرى رجلا يتلجلج او رجلا لا يعجبه يقول (سبحان الله خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد !) . وكانت قوته الشخصية واضحة فياضة تنم عنه . وكثيرا ما اشتبه به الاعداء بسببها عندما كان يدخل عليهم ليفاوضهم كأنه رسول من (عمرو بن العاص) . وكانت له من قوة الشخصية ما اعجبت عمر بن الخطاب ، وسيطر بها على القطرين (المصري والليبي) فساسهما كأحسن ماتساس الشعوب . وسيطر بسببها على معاوية بن ابي سفيان فانتدبه في (صفين) للتحكيم . وقد سيطر بقوة شخصيته على جيشه فكانت أفواجه وكتائبه أطوع اليه من بنانه .

* * *

ج ـ الثقة بالنفس :

كان (عمرو بن العاص) شديد الثقة بنفسه ومقدرته على القيادة ولم يستطع ان يكتم ذلك حتى قال (ماعدل بي رسول الله ... الخ) كما اسلفت ذكره .

وفي حملة ذات السلاسل اصر على تحمل المسؤولية لشدة ثقته بنفسه ومقدرته على القيادة ومن شدة ثقته هذه انه طالب بالقيادة العامة للجيوش العربية قبل حركتها الى الشام . فسعى عند عمر بن الخطاب ليقنع الخليفة الصديق بتأميره (أي تنصيبه أميراً) على الجيوش جميعها وأوشك ان يفلح في مسعاه لولا اكبار (عمر) وحبه لابي عبيدة ابن الجراح .

وقد بلغ من هذه الثقة مارواه « الحسن البصري » حيث قيل لعمرو بن العاص (قد مات رسول الله «ص» وهو يحبك وقد استعملك قال عمرو ، بلى فوالله ما أدري احبا كان لي منه أو استعانة بي) .

وقد كتب اليه ابو بكر رسالة يخيّره فيها بين ولاية اليمن وبين قيادة الجيوش فأجابه عمرو « اني سهم من سهام الاسلام وانت بعد الله الرامي بها والجامع لها . فأنظر اشدها واخشاها وافضلها . فارم به شيئا جاءك من ناحية من النواحي » .

د ـ الثبـات والتـوازن :

ولربما كانت هذه الصفة الهامة من اوضح واجلى صفات عمرو اذ انها صفة ملازمـة للدهاء والعبقرية وحضور البديهـة واستخدام العقل وسعة الحيلة ، هذه الصفات التي استجمعها ـ عمرو ـ . وقد تمكن ابن العاص من المحافظة على هدوئه ورباطة جأشه وعلى حالتـه الاعتيادية والثبات والتوازن اثناء الملمات .

وقد احتفظ بشكل واضح جدا بقابليته على العمل والتفكير في ظروف غير اعتيـادية في وقت كانت معيته وهيئة ركنه ومرؤوسـوه يفقدون زمام التفـكير . كان حازما في عمله عنـدما يصيب الخـوف رجالـه ويشل تفـكيرهم وهـو بذلك قـد امتلك سـجيتي القائـد الحيويتين وهمـا : ـ

اولا ـ اعطـاء القـرار أثناء العمل .

ثانيا ـ رباطة الجأش أثناء الملمات .

فقبل معركة (اليرموك) الثانية عام ٦٣٦م . وعندما كان هرقل امبراطور الروم ينحدر من اسيا الصغرى زاحفا بجيش كثيف مـن الروم لطرد العرب من الشام . بعد ان فشل في تدمير الجناح العربي الايسر من جيش عمرو في اجنادين . بعد ان شعر العرب بذلك ارتاعوا لكثرة جيوش الروم وعظمتها وحسن تجهيزها والدعاية الواسـعة المضللة التي كانت تسبقها .

واختلط الراي على القادة العـرب بينما ظل (عمرو بن العاص) هادىء التفـكير فأشار بوجـوب الانسحاب من المناطق المحـررة من سورية والتجمع جنوبا وقبول المعركة في ميدان اليرموك .

واني ارى ان القادة العرب قد اضطربوا ولم يتبينوا اصالـة هذا الرأي كما بينه «عمرو» . لذلك نرى ان ابا عبيدة قد كتب الى القائد العام للقوات المسـلحة الخليفـة (أبي بكر الصديق) برأي «عمرو» فأجابه ابو بكر بتأييده لراي عمرو وتفكيره . فكانت موقعة

اليرموك . موقعة حاسمة لحمتها وسداها تفكير عمرو ورباطة جاشه في ظروف غير اعتيادية .

والأعجب من ذلك ان عَمْراً يبدع خير ابداع ويتفنن ويتفتق ذهنه عن ابتكارات وحيل اثناء الملمات بعكس الاخرين تماما ، تحدثنا بذلك كتب التاريخ وشواهده عند مفاوضته للاعداء في فلسطين ومصر . وما حادثة (صفين) وما تبعها من تحكيم في الصراع الدامي بين جيش الامام علي وجيش معاوية بن ابي سفيان الا من أبلغ الادلة على رباطة جأشه وثباته وتوازنه ، فقد اشار برفع المصاحف فاوقف هزيمة معاوية واستزاده مددا . ثم فاوض ممثل الامام علي أبا موسى الاشعري ففلبه واقام الحجة على الامام علي ببلاغته وخداعه وسعة حيلته (مع ان حق الامام اوضح من رأد الضحى) واعطى حقا لمعاوية بأخذ ثأر عثمان .

* * *

هـ ـ الاخلاص :

وهي مزية جوهرية للقائد ولكل من يتصدر للبت في امرها . ونقصد بالاخلاص هنا اخلاص القائد الى رؤسائه ومرؤوسيه واخلاصه لبلده والقضية التي من اجلها يقود جنوده او بلده . ويجب على القائد ان لا يفسح مجالا لعاطفته او عقيدته او منافعه الشخصية بالتأثير على واجبه .

ان الاخلاص للواجب هو الدافع والمحرك الروحي الذي يدفع القائد نحو النصر وقد كان ابن العاص مثالا للعربي المخلص لوطنه وقادته ، الرؤوف بجنوده ومرؤوسيه . اخلص في تجارته واخلص في سفارته واخلص في قيادته. فكان القائد الذي يعتمد عليه ايام الرسول (ص) وابي بكر وعمر بن الخطاب . وقد رفض ان يرهق المصريين بالضرائب والرسوم كما كان يريد الخليفة الثالث عثمان بن عفان فاختلف معه مما ادى الى عزله عن ولاية مصر . واصر عمرو على صحة رأيه واخلاصه حتى ان عثمان بن عفان عندما قال له (ان

اللقاح بمصر بعدك قد درت البانها) يقصد عثمان ان الجباية قـد زادت في مصر . أجابه ـ عمرو ! ـ « ذلك لأنكم أعجفتم أولادها » اي اثقلتم كاهل المصريين بالضرائب . فالنعجة تعطي طبعا مزيداً من اللبن اذا منعت أبنـاءهـا من الرضـاع . وعجيب ان يـرى اخـلاصه الرسول (ص) وابو بـكر وعمـر بن الخطـاب ولا يرى ذلك الخليفة الضعيف عثمان بن عفان . وأرى انه لم يعزل عن ضعف ولـكن عزله خليفة ضعيف خوفا منه كقائد قوي (*)

وبعد هجوم الروم البحري واحتلالهم الاسكندرية ناداه عثمان واعاده الى مصر لكي يسترجع الاسكندرية فوافق اخلاصا منه لقضية العرب فاسترجع الاسكندرية وافلح بتدمير الروم ، وما ان انتهى من ذلك حتى عزله عثمان بن عفان وولى أخاه (اي اخ عثمان بالرضاعة ، عبدالله بن ابي سرح) للمرة الثانية .

* * *

٤ ـ الصفات البدنية

أ ـ العمـــــر :

لقد اختلف المؤرخون والرواة في تاريخ ميلاد « عمرو » وان كانوا قد اتفقوا على تاريخ وفاته في عيد الفطر من العام الثالث والاربعين للهجرة الموافق عام ٦٦٤ م .

فمنهم من قال انه عاش سبعين سنة وقال اخرون انه قد تجاوز المائة عام . ولكن هناك اتفاقا بأنه ولد قبل عمر بن الخطاب بسبع سنين ومات بعده بعشرين سنة ، الا ان المؤرخين قد اختلفوا في سن الخليفة الثاني عمر ايضا ، فبعضهم يذكر انه قتل وهو في الخامسة والخمسين وبعضهم يؤكد انه قتل في الثالثة والستين وهو عندي الاقرب الى الصحة لان الخليفة عمر بن الخطاب كان يشكو الكبر في سنه ، ويسأل الله (ان يقبضه اليه لانه شاخ وانتشرت رعيته) . والمرأ في بنية عمر بن الخطاب وقوته لا يشكو الهرم في الرابعة والخمسين . وعلى هذا فتكون سن (عمرو بن العاص) حين حضرته الوفاة قريبة من الثامنة والثمانين على أقل تقدير . وانه قاد معركة ذات السلاسل وانتصر فيها وهو في الخمسين من عمره وكان في معركة اجنادين في الواحدة والستين من عمره وفي اليرموك كان في الثانية والستين وفي معارك حصن بابل (بابليون) والاسكندرية قد تجاوز الخامسة والستين .

وهي سن مكنته من الاحاطة بفنون الحرب وطبيعة البلاد واعطته الخبرة والحنكة وحسن التصرف او هي بالاحرى المدرسة الممتازة التي تعلم فيها عمرو القيادة وفنونها .

* * *

ب ـ الصحـــة :

لقد كان (عمرو بن العاص) ممتلئا صحة وعافية ومن جملة الاقوال التي وصفوه بها انه (ادعج ابلج وافر الهامة ربْع اقرب الى قصر القامة يخضب بالسواد) . ومما يدل على لياقته البدنية وصحة

جسمه احتفاظه بحضور ذهنه ومضاء عزمه الى تلك السن العالية التي تجاوز بها قوم المائة ولم يهبط بها أحد الى ما دون السبعين .

وقد مكنته هذه اللياقة البدنية ، وقد اناف على الستين ، الى فتح البلاد وقلب الدول بأساليب عسكرية غايـة في الدقـة والمهارة والبراعة مما اتيح له التقدم صعدا في سلم المجد والولايـة .

كانت صحته البدنية الجيدة تمكنه من المغامرة والمبادرة وكأنه لم يزل في بادرة الشباب ومستهل العمـر وريعان الصبا . ومن الادلة على قوته البدنية ، تماسه الكثير بقطعاته وذهابه الى اعدائه للمفاوضة واخذه الراية في معركة اليرموك وقيامه بالمسيرات الطويلة في فتح مصر والتقدم الى ليبيا في برقة وطرابلس واندفاعه مع الصفوف الاماميـه واستخدام سيفه بالقتال كما حصل بالاسكندرية ، ورغبته في التقدم في شمال أفريقيا نحو تونس وأخيرا قيامه بتمثيل ذلك الدور الهائل في الحرب والسياسة في معركة (صفين) . فلو كان ممن هدت عزمـه الايام ودب في جسمه الاقواء لما سطّر ما سطّر من مفاخر في سـجل التاريخ .

★ ★ ★

ج ـ البشاشة وانفتاح الاسارير :

وهي من الصفـات التي تجعـل القائـد محبـوبا من رؤسـائه ومرؤوسيه وتقربه الى قلوب جنوده والشعب الذي يدير شؤونه .

وبعكسها فلو كان القائد مقطب الجبين مغلق الاسارير عبوساً دائم الانقباض لما وجد من يرجو له ـ على الاقل دوام تلك الحال . وهذه الصفة في بشاشة ابن العاص وتقاطيع وجهه جعلته محبوبا من اقرانه وجنوده وجعلته يملك قلوب المصريين الذين ساسهم كأحسن ما تكون السياسة والادارة .

وقد كان لطفه وظرفه وحلاوة لسانه ودبلوماسية لفته واقواله ذات تأثير على تقاطيع وجهه واساريره . او العكس فأن طبيعته المرحة قد جعلته يظهر بذلك اللطف والدبلوماسية والظرف .

٥ ـ طريقته في ادارة المعارك

آ ـ لم يكن (عمرو بن العاص) من القادة الكلاسيكيين ، الذي يحاول تطبيق ما تعلم بحرفية تامة . ولم تكن طريقته في ادارة المعارك متشابهة على وتيرة واحدة . انما كان يبدل ويغير حسب طبيعة الارض وقوة جيشه وقوة خصمه ونوع التجهيزات المتيسرة للطرفين وطبيعة تشكيل القطعات العسكرية للطرفين وماهية المناخ الذي تدور فيه المعركة ، صيفا أم شتاء ليلا أم نهارا . برا أم بحرا . هذا مع اخذه لعامل المعنويات بعين الاعتبار .

ب ـ والصفة البارزة في هذا القائد البطل انه اعتمد في جميع معاركه على :

١ ـ المباغتة .
٢ ـ سرعة الحركة .
٣ ـ الحيلة .
٤ ـ الخدع والتضليل .
٥ ـ التجديد في الخطط وخلق المواقف الجديدة للعدو .
٦ ـ الامن .

وقد رأينا عمراً كيف باغت الروم في أجنادين في فلسطين فأصابهم بكارثة كبيرة قضت على أحلامهم بدحر جيشه (جناح العرب الايسر) والتقدم الى (مؤته) لاحاطة الجيوش العربية في اليرموك . ورأينا كيف كانت سرعة الحركة من أهم المبادىء التي استمسك بها في فتح مصر حتى أصبح الجيش الرومي في حيرة من أمره . فعمرو اذ يزحف بسرعة على بابل (بابليون) بعد معركة بلبيس لا يترك مجالا من الوقت لعدوه للتفكير فبعد توقف قليل حول (بابليون) يقوم بغارة خاطفة على (الفيوم) وبعد ان ثبت الحاميات الرومية في أماكنها عاد الى (بابليون) لكي يعبر النيل ثانية ويخوض معركة هائلة في (عين شمس) تنتهي باحتلال بابل (بابليون) عدا الحصن . واذا به مباشرة يتقدم شمالا لابعاد العدو عن الحصن .

وكذلك فعل بعد فتح طرابلس اذ تقدم مسرعا نحو (مصراته) ففتحها قبل ان تشعر حاميتها وسكانها بسقوط طرابلس .

اما تاريخ معاركه وفتوحه فطافح باخبار الخدع والحيلة والتضليل كما بينا سابقا بدرجة يندر ان شاهد الزمان قائدا برع في هذا المجال كما برع فيه بطلنا (عمرو بن العاص) حتى اصبح مضرب المثل ولقب « بأرطبون العرب » .

اما خططه فكانت موسومة بطابع التجديد المستمر فهو في فلسطين قد اطال الحصار على (قيساريه) و (اجنادين) و (القدس) ولكنه في مصر لم يسمح بحصار (الفرما) ، بل افتتحها عنوة رغم مناعة اسوارها .

وفي مصر ايضا تجنب حصن (بابليون) واكتفى بمحاصرته بقوة قليلة واندفع داخل مصر نحو (الفيوم) تارة وشمال القاهرة[1] تارة اخرى . وفي الوقت الذي مكث عند أسوار (الاسكندرية) شهورا حتى ضيق عليها الخناق نراه لا ينتظر هذا الانتظار الطويل حول اسوار (طرابلس الغرب) ، بل بذل جهدا في التقصي والاستطلاع المفصل الواسع حول الاسوار وهاجمها برا ومن عند الساحل واجبر حاميتها على الاستسلام .

وراح بخيله مغيرا نحو مصراته لكي تدخلها كتائبه وابوابها مفتوحة وذلك فور تحرير (طرابلس الغرب) . وقد برز طابع التجديد هذا في اعماله الاخرى السياسية والادارية والاخص منها اساليبه الادارية والعمرانية في مصر التي كان الهدف الاساسي منها كسب الشعب بالانفتاح عليه . وكسب الشعب بخلق موارد جديدة له . وكسب الشعب بتطبيق العدل . وكسب الشعب تنظيم أموره واحواله المعيشية . فقد فتح الترع ونظم خطوط المواصلات والري وربط البحر الاحمر بالنيل عبر ترعة مائية ولم يرهق الشعب بالضرائب ولم يتعنت بالاحكام .

---

(1) نقصد الموضع المشيدة القاهرة عليه اليوم حيث لم تكن القاهرة موجودة اوانذاك .

وفيما يتعلق بمبدأ الامن فقد رايناه في ذات السلاسل يسير ليلاً والتخفي نهاراً ومنع قطعاته من ايقاد النار في ليال باردة وامتنع عن المطاردة لكي لا يعرف عدوه قلة عدد جيشه .

كما كان يهتم كثيراً في تأمين الشام وذلك بتحرير مصر وحاول تطبيق مبدأ الأمن ثانية على المستوى السوقي (الاستراتيجي) بتحرير ليبيا لتأمين مصر وقد نجح في ذلك .

* * *

ذلك غيض من فيض عن عبقرية هذا البطل العربي الفذ اقدمها علّ في دراستها ما يخدم أمتنا العربية وجيلها الحالي فاني أشعر شعورا عميقا بحاجة هذه الامة الى أبناء مثل (عمرو بن العاص) وصحبه وحاجة جيوشنا الى أمثال هذا البطل الداهية . واشعر واومن ان في قراءة السير وتواريخ الابطال حافزا نحو التشبه بهم واساليبهم واخلاقهم وتضحيتهم .

ولله در القائل « ان لم تكونوا مثلهم فتشبهوا » .

الفصل الثاني

التقدّم نحو فلسطين

الفصل الثاني

التقدم نحو فلسطين

١ ـ وصايا الحركات :

آ ـ تقدم جيش عمرو بن العاص السهمي وعدده أربعة آلاف مقاتل كلهم من سكان منطقة (مكة المكرمة) زاحفا على الطريق الساحلي الذي يربط (المدينة المنورة) بالعقبة وكان عليه حسب وصايا الحركات الصادرة اليه من القائد العام للقوات المسلحة الخليفة الاول ابي بكر الصديق ان يدخل فلسطين من جنوبها ، فعند وصوله العقبة عليه ان ينحرف يسارا ويتجه شمالا لتحرير فلسطين وتدمير القطعات البيزنطية فيها ، وكانت وصية الخليفة ابي بكر الصديق مايلي :

(أتق الله في سرك وعلانيتك واستحيه في خلواتك فأنه يراك في عملك وقد رأيت تقدمتي لك على من هو أقدم منك سابقة واقدم حرمة فكن من عمال الاخرة وارد بعملك وجه الله وكن والدآ لمن معك وارفق بهم في السير فأن فيهم أهل ضعف والله ناصر دينه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . واذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد بن ربيعة وشرحبيل بل أسلك طريق إيليا حتى تنتهي الى ارض فلسطين وابعث عيونك يأتونك باخبار أبي عبيدة فأن كان ظافرا بعدوه فكن انت لقتال من في فلسطين وان كان يريد عسكرا فأنفذ اليه جيشا في اثر جيش وقدم سهل بن عمر وعكرمة بن ابى جهل والحرث بن هشام وسعيد بن خالد ، واياك ان تكون وانيا عما ندبتك اليه واياك الوهن ان تقول جعلني ابن ابي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي به ، وقد رأيت ياعمرو ونحن في مواطن كثيرة ونحن نلاقي مانلاقي من جموع المشركين ونحن في قلة من عدونا ثم رأيت يوم حنين من نصرنا الله عليهم واعلم ياعمرو ان معك المهاجرين والانصار من اهل بدر فاكرمهم واعرف حقهم ولا تتطاول عليهم بسلطانك ولا تداخلك نجدة الشيطان فتقول : انما ولاني ابو بكر لاني خيرهم واياك وخدائع النفس وكن كأحدهم وشاورهم فيما تريد من أمرك والصلاة ثم الصلاة آذن بها اذا دخل وقتها ولا تصل صلاة الا باذان يسمعه أهل العسكر ثم ابرز وصل بمن رغب في الصلاة معك فذلك افضل له ومن صلاها وحده

اجراته صلاته واحذر من عدوك وامر اصحابك بالحرس ولتكن انت بعد ذلك مطلعا عليهم واطل بالجلوس بالليل على اصحابك واقم بينهم واجلس معهم ولا تكشف أستار الناس واتق الله اذا لاقيت العدو واذا وعظت أصحابك فأوجز واصلح نفسك تصلح لك رعيتك فالأمام ينفرد الى الله تعالى فيما يعلمه وما يفعله في رعيته واني قد وليتك على من قد مررت من العرب فاجعل كل قبيلة على حميتها وكن عليهم كالوالد الشفيق الرفيق وتعاهد عسكرك في سيرك وقدم قبلك طلائعك فيكونوا أمامك وخلّف على الناس من ترضاه واذا رأيت عدوك فأصبر ولا تتأخر فيكون ذلك منك فخرا والزم اصحابك قراءة القرآن وانههم عن ذكر الجاهلية وما كان منها فان ذلك يورث العداوة بينهم وأعرض عن زهرة الدنيا حتى تلتقي بمن مضى من سلفك وكن من الأئمة الممدوحين في القرآن اذ يقول الله تعالى : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وأيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » .

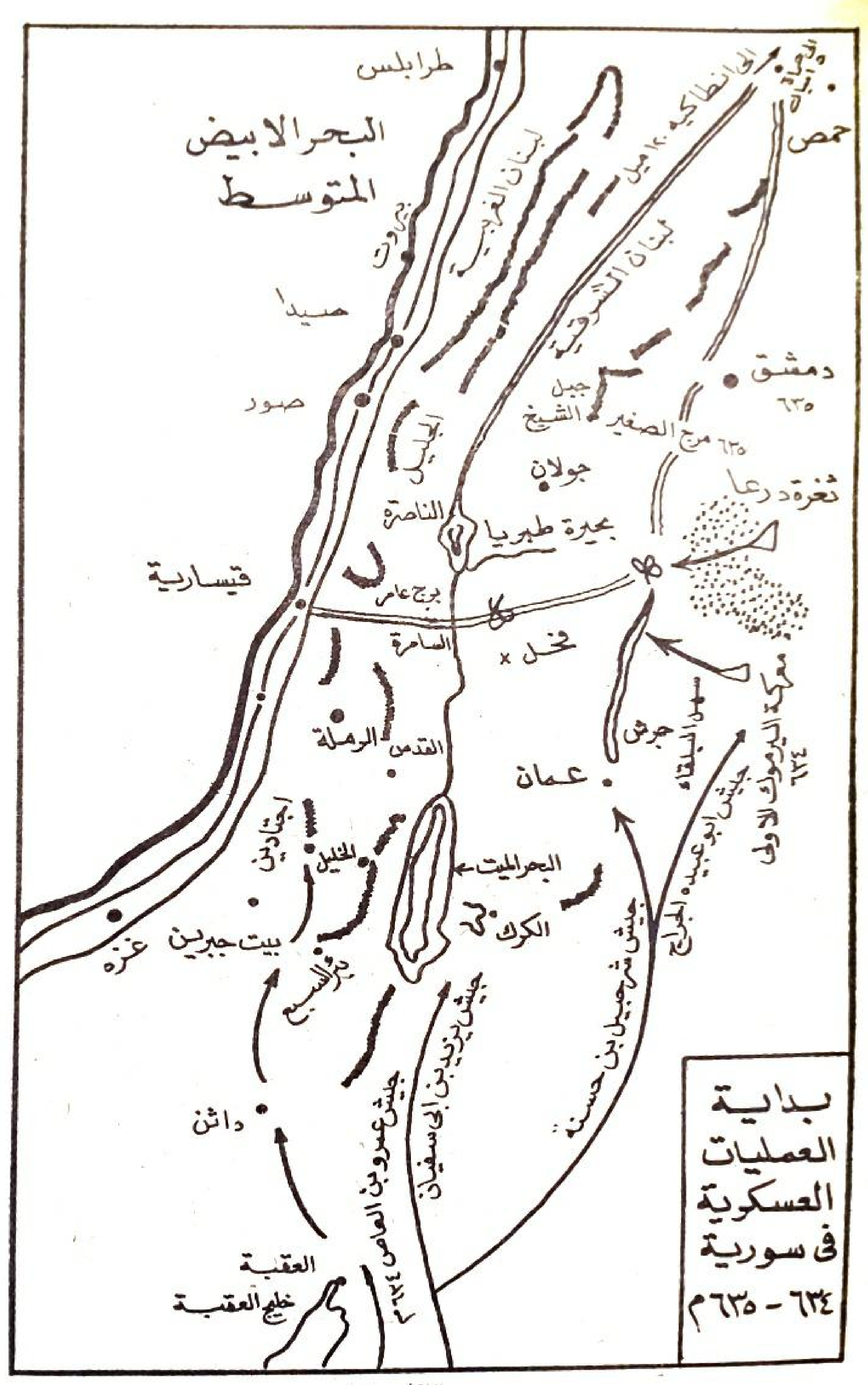
فكان أبو بكر رضي الله عنه يوصي عَمْراً بن العاص وأبو عبيدة حاضرا ثم قال : (سيروا على بركة الله وقاتلوا اعداء الله واوصيك بتقوى الله فأن الله ناصر من ينصره) .

ب ـ بينما كانت وصايا الحركات للجيش الثاني الذي يقوده (يزيد بن ابي سفيان) هي التقدم على طريق (المدينة ـ تبوك) ثم دخول شرقي الاردن والانحراف يساراً في مسير الأقتراب الى المنطقة الكائنة على سواحل البحر الميت الشرقي وتحريرها .

أي ان الجيش الثاني سيكون على الجناح الايمن للجيش الاول (جيش عمرو بن العاص) .

ج ـ وكانت وصايا الحركات الصادرة الى الجيش الثالث الذي يقوده (شرحبيل بن حسنة) هي التقدم الى شرقي الاردن لتحريره وتدمير الحاميات الرومية فيه .

د ـ وكانت وصايا الحركات للجيش الرابع الذي يقوده (ابو عبيدة عامر بن الجراح) التقدم نحو دمشق وحمص وتحريرهما



طرابلس
البحر الابيض المتوسط
بيروت
صيدا
صور
قيسارية
حمص
دمشق
٦٣٥
جبل الشيخ
مرج الصغير ٦٣٥
جولان
ثغرة درعا
الناصرة
بحيرة طبريا
برج عامر
الجليل
فحل
السامرة
الرملة
القدس
عمان
جرش
البحر الميت
الكرك
الخليل
أجنادين
بيت جبرين
غزه
بئر السبع
داثن
العقبة
خليج العقبة
معركة اليرموك ٦٣٤
جيش ابو عبيده الجراح
جيش شرحبيل بن حسنة
جيش يزيد بن ابي سفيان
جيش عمرو بن العاص ٦٣٤م
بداية العمليات العسكرية فى سورية ٦٣٤ - ٦٣٥م

وتدمير القطعـات الرومية في المنطقة .

هـ ـ وكانت اوامر القائد العام ووصايا حركاته تامة الوضوح بان تتحرك الارتال فورا لنجدة بعضها البعض او لنجدة اي منها يلقى مقاومة شديدة او توشك ان تحل به كارثة عسكرية . وفي هذه الحالة يتولى القيادة العامة القائد الذي تدور المعركة في قاطعه .

واستنادا على ذلك سنرى ان الجميع كانوا بأمرة عمرو بن العاص في واقعة (اجنادين) وكلهم كانوا بأمرة شرحبيل بن حسنة في معركـة (فِحْل) .. الخ .

* * *

٢ ـ الزحـــــف :

آ ـ تقدم الجيش الاول بقيادة عمـرو بن العاص نحـو العقبة (ايلة) وعندما أحتلها انحرف يسارا ثم تقدم باتجاه غـزة على طريق العقبة ـ غزة بحذر دافعا أمامه قطعات سيارة من كتائب الخيالة وكان تعداد جيشه حوالي أربعـة آلاف مقاتل .

ب ـ وعلى مقربة من غزة اصطدمت طلائع الجيش الاول (عمرو) بالقطعات البيزنطية في (داثن) . ويبدو ان الروم بذلوا جهدا كبيرا في محاولة يائسةللدفاع عن غزة وصد الهجومالعربي الا أن عَمْراً أجبرهم على التخلي عن مواضعهم في (داثن) والانسحاب شمالا . فكانت هذه المعـركة أول معـركة يشـترك فيهـا جيش من الجيـوش العربيـة الاربعـة . وكان أول أمتحـان لقـوة الجيـوش الـكبيرة وقيادتهـا الحكيمة فاندفع بعدها عمـرو بن العاص فاحتـل غـزة وبئر السبع وبيت جبرين متجها شمالا في زحفه .

جـ ـ في ذلك الوقت أيضا كان الجيش الثاني بقيادة يزيد بن ابي سفيان قد انهى معركة ناجحة مع جيش (سرجيوس) القائد الروماني في وادي عربه قتل فيها قائد الروم (سرجيوس) .

بينما كان الجيشـان الثالث والرابع بقيادة شرحبيل وابي عبيدة عاجزين عن الحركة شمالا وقد صُدّا تماما جنوب (درعا) اذ تحصن الروم في المواضع المستندة الجناحين على نهر اليرموك غربا والصخور

البركانية عند جبل العرب (الدروز) شرقا . وهو الموضع الكائن عند بوابة درعا أو (ميدان اليرموك) وكان ذلك عام (٦٣٤) ميلادية .

* * *

٣ ـ خطة الروم لتدمير الجيش العـربي :

لقد لاحظ هرقل ابتعاد الجيوش العربية عن بعضها البعض وان الجيش الأول الذي يقوده (عمرو) قد اصبح منفردا في فلسطين وانه قد اندفع شمالا نحو القدس حيث توجد أقدس المقدسات المسيحية وحيث يوجد المسجد الاقصى والأرض المباركة حوله والتي يقدسها العرب أيضا كما جاء في الآية الكريمة (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ... الخ) .

اذن فالمعركة هنا ستدور بكل عزم وجدية وكل سيدافع عن مقدساته ويحاول التمسك بها حتى الرمق الأخير ولذلك اختارت القيادة العامة عَمْراً بن العاص لهذه المهمة الشاقة الجليلة وحملته مسؤولية غاية في الخطورة .

كما ان هرقل كان مطمئنا كما يبدو الى قوة تحصيناته في خطوطه الدفاعية في اليرموك (ثغرة درعا) لذلك قرر :

آ ـ الدفاع في موضع اليرموك بقطعات قليلة .

ب ـ القيام بحركة أحاطة واسعة من فلسطين وتدمير الجيش الاول الذي يقوده عمرو بن العاص والذي أخذ يهدد القدس .

جـ ـ الاندفاع جنوبا حتى العقبة ثم الاستدارة يسارا لاحتلال مؤته .

د ـ قطع خط مواصلات الجيوش الثلاثة المتبقية ومن ثم القيام بهجوم عام شامل عليها في اليرموك ودفعها الى الخلف نحو مؤته حيث يتلقاها الجيش الروماني الذي سبق ان انحدر من فلسطين واحتل مؤته وبذلك ستكون الابادة التامة للجيوش الأربعة العربية .

ثغرة درعا
جسر احتله العرب
وادي الرقاد
سهل حوران
عمرو بن العاص
الى دمشق ٦٥ ميلاً
بحيرة طبريا
نهر اليرموك
جيش الروم
جبل حوران الدروزي
جبال بركانية
سفوح بركانية
درعا
الرمثاء
هجمات العرب
نهر الأردن
اربد
الى القدس ٧٥ ميلاً
نهر الأردن
فحل
الى عمان ٣٨ ميل
سهل البلقاء
الى المدينة ٦٠٠ ميل
بصرى

الفصل الثالث

تحرير فلسطين

الفصل الثالث

تحرير فلسطين

معركة اجنادين :

آ ـ انحدر الجيش الرومي وتعداده مائة ألف مقاتل من طبرية نحو السهل الساحلي لكي ينفرد بجيش عمرو بن العاص ، فلاحظ (عمرو) خطورة موقفه العسكري اذ انه ابتعد كثيرا عن الجيوش الاخرى كما انه قد اصبح وحيدا في فلسطين في البلد الذي تقدسه الروم وتعتز به الامبراطورية الرومانية هذا علاوة على عدم تكافوء القوى التي عنده وعند هرقل في حشده الكبير الهائل اتجاه الجيش الاول الذي يقوده (عمرو) كما لاحظ الاخطار الكبيرة المحيقة بالجيوش العربية الاخرى اذا ما تمكن هرقل من تدمير جيش عمرو لذلك سارع بطلب النجدة من الجيوش الاخرى .

ب ـ وبتقدير موقف سريع انحدرت الجيوش العربية عبر شرقي الاردن ملتفة جنوب البحر الميت بسرعة عبر جبال مؤآب (الكرك)لتتجمع مع الجيش الاول (جيش عمرو بن العاص) لمواجهة الجيش الرومي الكثيف في فلسطين وكان قد أصبح تعداد الجيش العربي كله ثمانية آلاف مقاتل .

جـ ـ لقد ذكر الواقدي ١٣٠ ـ ٢٠٧ هـ ان جيش الروم كان بقيادة روبيس وكان في مائة ألف مقاتل .

لقد أخبر العرب عدي ابن عامر وكان من خيار المسلمين وتاجرا كثيرا مايتردد على بلاد الشام . وقد رأى زحف الروم من شمال فلسطين نحو أجنادين . فقال : ورائي الروم وجنودهم مثل النمل فقال له عمرو بن العاص (ياهذا لقد ملأت قلوب المسلمين رعبا وانا نستعين بالله عليهم) . ثم سأله عمرو (كم حزرت القوم) قال عدي : مائة الف . فقال عمرو (لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) . ثم خطب في الناس فقال : (أيها الناس انا واياكم في هذا الامر بالسواء فاستعينوا بالله على الاعداء وقاتلوا عن دينكم وشرعكم فمن قتل كان شهيدا ومن عاش كان سعيدا) .

ودفع بقطعاته السائرة وكانت الف فارس بقيادة عبدالله بن عمر ابن الخطاب فاصطدمت بقوة الروم السائرة ايضا فدارت معركة تصادفية انتصرت فيها الخيالة العربية وابادت قوة الروم السيارة .

وفي اليوم التالي التقى الجمعان فرتب عمرو جيشه الصغير امام مائة الف مقاتل فعبأ جنوده ، ونظمهم في صفوف متساوية وبانضباط شديد . وجعل في الميمنة الضحاك وفي الميسرة سعيد بن خالد وهو اخوه من امه وكان هو في القلب .

وباشر بهجوم من الميسرة فقاتل سعيد بن خالد قتالا شديدا واوقع بالروم خسائر فادحة وأوعز للميمنة بالهجوم وكان قد تمكن من طرد كتائب الروم وعزلها من مشاة العدو فانفردت الخيالة العربية سريعة الحركة بالجيش الروماني . وهنا استشهد سعيد بن خالد فحزن عليه العرب حزنا عظيما وكان عمرو أكثر الناس حزنا على اخيه فانتدب معه الشجعان وكان منهم عكرمة بن ابي جهل والضحاك والحرث بن هشام ومعاذ بن جبل وابو الدرداء وعبدالله بن عمر بن الخطاب وقام بهجوم صاعق على قلب الروم وكان القائد في مقدمة الجيش .

فدارت في (اجنادين) في تموز (يوليو) عام / ٦٣٤ م (يوم الاثنين ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣ (هجرية) بين الرملة و (بيت جبرين) اعنف معركة شهدها تاريخ الصراع العربي الرومي حتى ذلك الوقت اظهرت بجلاء عبقرية الداهية القائد (عمرو بن العاص) الذي استخدم الخيالة العربية أحسن استخدام في القضاء على الخيالة الرومية وطرد بقاياها بعيدا عن مشاة الروم الأمر الذي جعل الجيش الرومي الثقيل العدة والبطيء الحركة عرضه لطعنات الخيالة العربية سريعة الحركة مما ادى الى تدمير القطعات الرومية والحصول على نصر لامع في القضاء على أمل هرقل في حصر الجيوش العربية والقضاء عليها تباعا . وابلى في المعركة خالد بن الوليد بلاء حسنا . وكان من شهداء المسلمين عبدالله بن الزبير بن عبدالمطلب بن هاشم وعمرو بن سعيد بن العاص واخوه ابان بن سعيد وطليب بن عمير بن وهب وامه

اروى بنت عبد المطلب عمة رسول الله وعكرمة بن ابي جهل وسلمة بن هشام بن المغيرة وهبار بن سفيان المخزومي وهشام بن العاص ونعيم بن عبدالله العدوي وعمر بن الطفيل بن عمرو الدوسي وجندب بن عمرو الدوسي وسعيد بن الحارث والحارث بن الحارث والحجاج بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي .

د ــ ولم يضع العرب وقتا فبعد الأنتصار في (اجنادين) عادت جيوش النجدة لتخوض اليرموك الاولى (آب ٦٣٤ م) وتدخل دمشق في آب ٦٣٥ ، وتنسحب منها ــ بناءاً على نصيحة عمرو ــ عند زحف هرقل لاسترجاعها الى موضع اليرموك لتتجمع يسندها جيش عمرو ابن العاص وتخوض المعركة الفاصلة في تاريخ الصراع هذا الا وهي معركة اليرموك الثانية في (٢٠ / آب اغسطس / ٦٣٦م) .

* * *

الزحف على دمشق :

وبعد ان انحسم الصراع العربي الروماني الى الأبد في سورية لصالح العرب أثر الانتصار الساحق الذي حققته الجيوش العربية الاسلامية عند بوابة درعا في معركة اليرموك الثانية عام (٦٣٦م) انتشرت هذه الجيوش في سورية شمالا بزحف رهيب وكان ترتيب القطعات العسكرية في زحفها على دمشق الشام كما يلي : ــ

عياض بن غنم آمراً للقطعات السيارة (الخيل) .
خالد بن الوليد آمراً للمقدمة .
ابو عبيدة الجراح آمراً للميسرة .
عمرو بن العاص آمراً للميمنة .
شرحبيل بن حسنة آمراً للقلب وهو القسم الأكبر من الجيش .

ويلاحظ ان في وجود عمرو على اليمين حكمة بالغة فهو على الطرف المحاذي للصحراء حيث تكون المباغتة منه أو عليه وحيث تجرى الحركات السيارة السيالة (حروب الصحراء) والتي تحتاج كفاءة ودراية وسعة حيلة وتسهل فيها حركات الالتفاف والمناورة . وهو أمر لابد وانهم قد لاحظوه عند زحفهم على دمشق للألتفاف حولها وعزلها .

فتح القدس

وبعد احتلال دمشق بقي فيها جيش يزيد بن ابي سفيان وتحولت الجيوش الاخرى نحو (فحل) في الضفة الشرقية من الأردن غرب اربد . وبعد إحتلالها تحول شرحبيل بن حسنة يكمل احتلال الضفة الشرقية من الأردن . بينما تحرك ابو عبيدة عامر بن الجراح وخالد بن الوليد الى (حمص) ومن بعدها زحف ابو عبيدة نحو حلب وانطاكية .

واندفع جيش عمرو بن العاص السهمي نحو فلسطين لتحريرها فاحتل كافة مدنها الواحدة بعد الاخرى وبسهولة ما عدا (قيسارية) القاعدة البحرية التي قبلت الحصار واستمرت حاميتها في مقاومة ضارية بأمل حصولها على النجدة بحرا اذ كانت تعتمد على الاسطول الروماني في البحر الابيض المتوسط .

كما ان القدس (ايلياء) قد سدت ابوابها وتحصنت حاميتها خلف الاسوار المنيعة فاستعصت ولم تكن للعرب تجهيزات عسكرية ووسائط حربية قادرة على دك الحصون وتخريب الأسوار أو تسلقها واقتحامها . وهو نقص ولاشك يدل على عدم الاستعداد او عدم التفكير بمعالجة امثال هذه الحصون بل ربما افهم من ذلك أيضا قلة الاستطلاعات العربية العسكرية قبل شن الحرب على الامبراطوريتين الرومانية البيزنطية والفارسية الساسانية .

* * *

لهذا السبب تعذر على العرب اقتحام (بيت المقدس) مما اضطر عمرو بن العاص الى قبول طلب الرئيس الروحي للمدينة (البطريرك) الصلح بشروط اولها واهمها هو تسليم مفاتيح المدينة الى الخليفة عمر بن الخطاب شخصيا ... الى آخر الحدث المشهور في مجيء الخليفة متنقلا على بعير وماشيا يقود بعير خادمه يوما وخادمه يقود

بعيره في اليوم التالي مناوبة من المدينة المنورة حتى القدس واستلامه المدينة واعطائه عهدا لسكانها بالأمان هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين اهل ايلياء من الأمان اعطاهم أمانا لأنفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها . انه لاتسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم . ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم . ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن . وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن اقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فأنهم آمنون على انفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . فمن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى اهله فأنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية ... الخ .

كتب سنة ١٥ للهجرة (٦٣٦ م) .

الفصل الرابع

تحرير مصر والاسكندرية



عمرو عند فتح الاسكندرية

الفصـــل الرابع

تحرير مصر والاسكندرية

« ولما شكا الناس الى هرقل لـم يجب ، ولهذا انجانا الله المنتقم من الروم على يد العرب فعظمت نعمته لدينـا ان اخرجنا من ظلم الروم وخلصنا من كراهتهم الشديدة وعداوتهم المرة » .

عن كتاب «مختصر تاريخ الدول»

لابي الفرج العبري

تقدير الموقف لتحرير مصر :

وبعد اناستتب للقيادة العربية كل شيء في فلسطين عـــدا قيسارية أرى انها انصرفت بتفكيرها نحو شيئين غاية في الأهميــة العسكرية وهما : ـ

آ ـ تأمين الدفاعات العسكرية على طول السواحل الشاميــة خشية من الهجوم المقابل العام الذي تقوم به القوات البيزنطية عبـر البحر الابيض المتوسط لاسيما وان البحرية البيزنطية لازالت سليمة وقادرة على العمل بحرية تامة من قواعدهـــا في مصر وعلى الاخص قاعدة الاسكندرية كما ان قيسارية المحاصرة لازالت تقاوم الحصـــار العربي .

ب ـ التقدم نحو وادي النيل لتحريره وطرد الروم البيزنطيين منه وبذلك تؤمن القيادة العربية مايلي : ـ

١ ـ تحـرير وادي النيـل من السيطرة البيزنطية .

٢ ـ تحطيم القـوى العسكرية البيزنطية التي تهـدد الشام بهجوم مقابل واسع النطـاق لاسترجاعها .

٣ ـ تحطيم القواعد البحرية البيزنطية على طـول السواحل المصرية والتي يستـند اليهـا اسطول الروم البيزنطيين عنـد اسناده للجيش البيزنطي في البر .

٤ ـ طرد الاسطول البيزنطي من شرقي البحر الابيض المتوسط .

٥ ـ تكون فاتحة لبناء اسطول عربي في البحر الابيض المتوسط بالاستفادة من امكانيات مصر البحرية .

٦ ـ الاستفادة من السخط العام الذي كان المواطنون المصريون يظهرونه حينئذ تجاه المستعمرين الروم .

٧ ـ الاستفادة من طاقات وخيرات مصر لدعم المجهود العسكري العربي وتحسين الوضع الاقتصادي للدولة العربية النامية .

٨ ـ اتخاذ مصر قاعدة للاندفاع غربا نحو ليبيا والشمال الافريقي لتحريره من السيطرة الاجنبية .

٩ ـ ايجاد مجالات نشاط عسكري للجيش العربي اذ ان في تركه في مواقع سلمية ربما تضعف معنوياته وقد تؤدي الى ان تدب فيه روح الخور والضعف .

١٠ـ تطبيقا للعقيدة الدينية والحماس العالي الذي اتخذ قاعدة عامة وهو الجهاد في سبيل الله .

★ ★ ★

بعد كل هذه الاحداث والتصورات وتقديرات الموقف اقتنع القائد العربي (عمرو بن العاص السهمي) بضرورة التقدم من فلسطين غربا نحو سيناء ودخول وادي النيل لتحريره من سيطرة الروم . ولابد ان يكون قد ناقش واقنع كافة القادة العرب الذين كانوا على اجنحته والذين يهمهم أمر جيش عمرو في فلسطين . كما انه لابد وان يكون قد حصل على موافقة القائد العام للقوات المسلحة العربية وهو الخليفة (عمر بن الخطاب) عند اجتماعه بالقادة العسكريين في (الجابية) قرب درعا في ميدان اليرموك عند قدوم الخليفة الى الشام واستلامه مفاتيح القدس صلحا كما اسلفت . ويبدو ان القائد العام عمر بن الخطاب لم يكن مقتنعا بالافكار التي يشير بها قائده عمرو بن العاص . لذلك نراه مترددا في القرار على غزو مصر او عدمه كما سيأتي ذكره . ويبدو من ذلك ان الفضل

كل الفضل في تحرير مصر ومن ثم ليبيا يعود للقائد (عمرو بن العاص) . وان العملية كانت ناجمة من خطط القيادة العسكرية في ميدان القتال (فلسطين) وليست من الآراء السوقية (الاستراتيجية) العامة التي ارادتها أو خططت لها القيادة العسكرية العليا في العاصمة (المدينة) وليس في ذلك ضير أو عيب في تاريخنا العسكري وليس يضير العرب والمسلمين ان يكون القائد (عمرو بن العاص) أكثر تفهما للمواقف العسكرية وأكثر حنكة فيها وأقدر على حل المعضلات العسكرية من الخليفة (عمر بن الخطاب) فذلك أمر معترف به للقائد السهمي .

★ ★ ★

الزحف نحو مصر :

كان جيش ابن العاص في فلسطين قبل اليرموك حوالي ثمانية آلاف مقاتل ولابد انه قد تحمل خسائر قد تصل الى (٢٠) بالمائة شأنه شأن أي جيش يبلى بلاء حسنا وفي معركة حاسمة قررت مصير الشرق كاليرموك . فيكون ما بقي مع عمرو حوالي ستة آلاف وخمسمائة مقاتل . واعتقد ان تقدير الموقف العسكري للقائد عمرو وهيئة أركان حربه كان يشير الى التخوف من الهجوم البيزنطي المقابل عن طريق البحر والقيام بالانزالات البحرية على السواحل الفلسطينية لاسترجاع الشام . وربما كان هذا العامل هو مبعث تخوف القائد العام (عمر بن الخطاب) من التقدم نحو مصر لأنه كان يرغب ببقاء جيش عمرو في فلسطين حتى ينجلي موقف الروم العسكري تماما وارى ايضا ان تقدير الموقف العسكري قد خرج بنتيجة نسميها نحن (القرار) وهو التقدم نحو مصر بالاستناد على فلسطين والاحتفاظ بها . لذلك يرى العسكريون اعجوبة التقدم بثلاث آلاف وخمسمائة مقاتل لمسافة اربعمائة كيلو متر لاحتلال وادي النيل بهذه القوة المغامرة .

ومن هذا نفهم انه ترك حوالي ثلاثة آلاف مقاتل او اقل قليلا

في فلسطين للدفاع عن سواحلها ضد الغزو الرومي المتوقع .

* * *

مسير الاقتراب :

آ ـ سلك عمرو نفس الطريق التاريخي القديم متجها نحو الجنوب بمحاذاة الساحل البحري منحدرا نحو (رفح) . وهو الطريق الذي شاهد تقدم جيوش الآشوريين (عرب العراق القدماء)(١) وجيش قمبيز الفارسي وجيوش الاسكندر المكدوني وبومبي الروماني ، نحو وادي النيل .

ب ـ وتذكر المصادر التاريخية ان القائد استلم رسالة من الخليفة (عمر بن الخطاب) وهو في (رفح) من فلسطين وبما ان القائد الداهية ابن العاص يعرف جيدا تفكير الخليفة عمر بن الخطاب وما يدور في ذهنه فقد ارتاب في مضمون الرسالة وتنبأ بأنها أمر بمنع التقدم نحو مصر أو ربما يكون قد علم مضمونها من المراسل الذي نقل الرسالة ، لذلك قرر عمرو عدم فتح الرسالة إلا بعد دخوله مصر عند العريش وهنا أميل الى انه فهم مضمونها من المراسل . اذ كيف يتأخر عن فتحها في رفح وما هو الدافع لذلك وما هي المصلحة في الحروب في تأخر فتح الرسائل . ولكنه القائد

---

(١) قطع الجيش الاشوري سيناء لاحتلال مصر بقيادة الملك اسرحدون في هجومه الاول عام ٦٧٤ قبل الميلاد . ففشل بسبب العواصف ، وبعد ثلاث سنوات أعد حملة ثانية استولى فيها على عاصمة الفراعنة منفس ودحر الملك طهراقة (ترهاق) الحبشي . وغنم غنائم كبيرة ، عثر على بعضها فى تنقيبات (تل النبى يونس) فى نينوى منها كسر من تمثال طهراقة محفوظة فى المتحف العراقى . وممن غزا مصر الملك آشور بانيبال عام ٦٦٧ ق .م . وقد ذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس «ان الملك نبوخذنصر جعل مصر تابعة الى الامبراطورية البابلية ، ولكن المعروف ان نبوخذنصر كان يفكر بغزو مصر ولم يغزها ، واخبار نبوخذنصر الرسمية لم تذكر شيئاً عن ذلك » .

الداهية الذي فهم مضمون الرسالة واراد أن يضع القيادة العامــــة للقوات المسلحة بالمدينة أمام الأمر الواقع .

تقدم عمرو بسرعة من رفح يوم (١١/كانون الأول عام/٦٣٩ م) نحو العريش(١) فبلغها في اليوم التالي ١٢/كانون الاول ـ ديسمبر/٣٩ المصادف لاول يــوم من ايام عيد الأضحى ١٠/ذى الحجة ســنة ١٨ هجــرية ، وبعــد احتــلال العريشــ جمــع عمــرو أكبر عــدد من ضباطــه وجنــوده وقــرأ عليهــم رســالــة الخليفــة التي فحــواها

(اذا كنت لم تدخــل مصر فأرجــع عنها واذا وصلتك رسالتي وكنت قد دخلتها فاستمر بالتقــدم) .

* * *

---

(١) كانت العريش قبل الفتح العربي تسمى (رينوقولورا) فسماها العرب العريش.

الفرمـا

اسـم الفرمـا :

وهي في التاريخ العربي الاسـلامي الفرماء واسـمها القـديم بلوز (بيلوسيوم) ويسميها القبط پرمون وتسمى الآن الفرما على بعد (٣٥) كيلو مترا شمال شرقي الاسماعيلية على الجانب السيناني من قناة السويس مسافة (٢.) كيلو مترا وعلى بعد (٢٣) كيلو مترا شرقي محطة قطار الطينة على سكة بور سعيد ـ الاسماعيلية . وكانت تمر بالقرب منها قناة الماء الحلو من النيـل الى البحـر الابيض المتوسط وتسـمى القنـاة الفرماوية وهـي فـرع من النيـل كـان يدعـى البلوزي . وكانت مدينة الفرما في موقع مشرف حصين على مرتفع يبعد ميـل ونصف عن البحـر الابيـض المتوسـط وتمتـد المدينـة الى مينائهـا البحـري .

★ ★ ★

ولعـل مـن اهـم الاحـداث التاريخية السياسـية والادبية لهـذه المدينـة هي ان المأمون بن هارون الرشيد الخليفة العباسي الذي اشتهر عهـده بالهـدوء السياسي وانتشـار العلـم والادب في الديار العربية والاسلامية قـد شـعر بوجود حركـات سـياسية مناهضـة لحكمـه في مصـر فغـادر (بغـداد) عاصمـة الخلافـة متوجها الى وادي النيل فأقام في (الفرمـا) وصـار يبعث على السياسيين والاداريين ويعالج الأمور بنفسه فيها حتى قضى على الفتنة في مهدها وبعد ان انتهى من ذلك تحرك الى الفسطاط ودخـل (مسجد عمرو بن العاص) من باب الفاتحين المسدودة الآن أو اندثرت معالمها ، وبعد الصلاة زار بقايا ممفيس وآثارها القديمـة على الضفة الغربية من نهر النيل فمر على الاهرام ناظرا بأحتقار الى قبـور الفراعنة ومتعجبا كيف طغى فرعون وتجبر وقرأ : **(أليس لي ملك مصر وهـذه الانهـار تجـري من تحتي أفلا تبصرون)** كما جاء في سـورة

الزخرف من القرآن الكريم بينما للمأمون ملك يزيد على ماكان لفرعون عشرات المرات .

وعلى كل فان (المأمون) بعد ذلك كره ان يسكن في غير (الفرما) ويبدو ان طبيعتها العربية البدوية وجوها الصحراوي وكثرة العرب فيها جعلته يرتاح اليها أكثر من غيرها من المدن او ربما كان السبب ان يكون قريبا من الشام والعاصمة بغداد ومع ذلك فلم تعجبه الحياة في الفرما اذا ما قورنت ببغداد حيث الحياة التي ألفها كبغدادي صميم . فنظم بعض الأبيات في ذلك منها ما يشير فيها الى انه سأم الاقامة في الفرما وان ليله فيها طويل اذا ما قورن بليله في الميدان وهي احدى حارات بغداد .

لليلي في الميدان أقصر منه في الفرما
غريب في قرى مصر يعاني الهم والسأما

★ ★ ★

احتلال الفرما :

تقدم عمرو بن العاص نحو الفرما فأنسحبت حاميتها الى داخل الاسوار متحصنة فيها فاضطر الجيش العربي الى محاصرتها لمدة شهر كامل نظراً لعدم تيسر الوسائط الحربية لدك الحصون والاسوار لدى جيش عمرو .

وكانت من أسباب صمود المدينة وجود الميناء البحري لها واستنادها على القوى البحرية البيزنطية في الاسكندرية . وأرى ان القائد العربي قد قرر اغتنام أول فرصة تقوم بها حامية المدينة بالهجوم عليه خارج الاسوار وذلك بالالتحام بها ودحرها ومطاردتها والوصول الى ابواب اسوار المدينة والدخول فيها قبل وصول القطعات البيزنطية المتراجعة او الدخول معها في الأبواب التحاما . وذلك مايفسر الخبر التاريخي بأن الجنود العرب قد دخلوا من أحد ابواب الاسوار سوية مع الجنود البيزنطيين المتراجعين .

ويبدو ان خطة عمرو قد نفذت بحذافيرها ، فقد قامت الحاميه الرومية بهجوم على القطعات العربية خارج الاسوار فدارت معركة حامية اضطرت على اثرها الحامية الرومية على التراجع . فالقى عمرو بكل ثقله للوصول الى الأسوار والدخول من الأبواب قبل الروم أو مع الجنود الروم عنوة اذ انها فرصة ثمينة ان يجري قتال والأبواب مفتوحة فتمكن جنود الجيش العربي من اقتحام الأبواب والدخول الى المدينة ومن ثم قامت فصائل من الجيش العربى بأقتحام الميناء واحراق السفن الراسية فيه لمنعها من الابحار ومنع الاستفادة منها .

ولما كانت قوة عمرو قليلة في التقدم نحو وادي النيل ولا يريد ان يترك منها قسما في الفرما وليست لدى الجيش العربي وسائط تحطيم الأسوار والحصون ولما كانت الفرما على خط مواصلات عمرو فانه قد أمر بتحطيم أسوارها لكي لا تعود الى التمرد والتحصن خلف الأسوار والتعرض الى خطوط مواصلاته . وكان ذلك قد جرى في كانون الثاني (يناير) ٦٤٠ ميلادية .

* * *

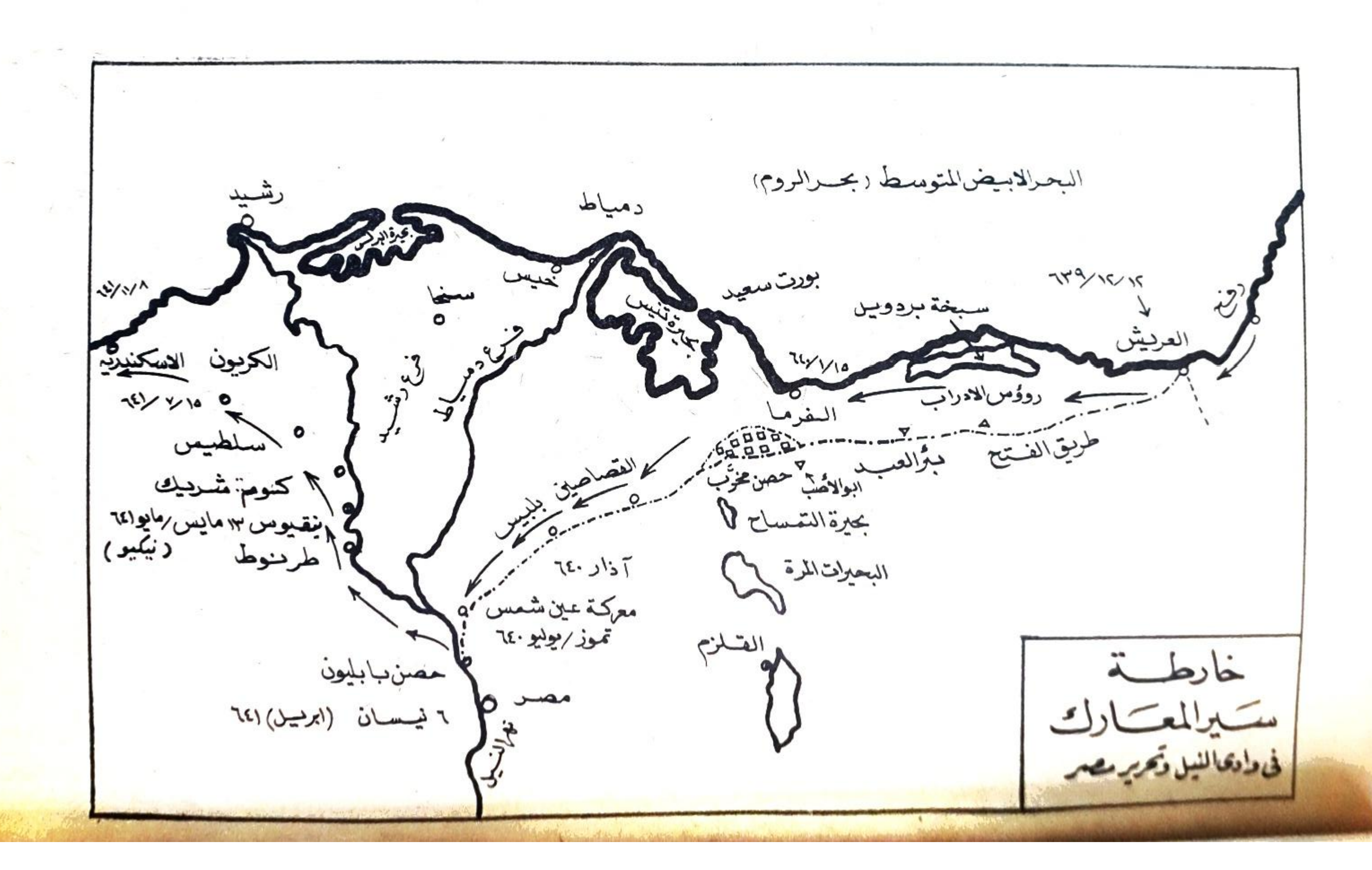
التقدم نحو بلبيس :

آ ـ وبعد ان حطم أسوار الفرما تقدم الجيش العربي حسب الخطط السوقية العربية أي التقدم على الحافة الفاصلة بين الصحراء والارض المزروعة . وكان تقدمه هذا يؤمن له :

١ ـ سهولة التنقل لأن العرب يألفون الصحراء .

٢ ـ ان وسائل تنقلهم وهي الجمال والخيول يسهل عليها التنقل والحركة في الأرض المحاددة للأرض المروية .

٣ ـ ان الصحراء تكون قريبة جدا فيسهل الاختفاء بها اذا تعرض الجيش الى خطر أو اذا اندحر فينجو من خطر المطاردة ومن الابادة .


خارطة
سير المعارك
في وادي النيل وتحرير مصر
البحر الابيض المتوسط (بحر الروم)
رشيد
دمياط
بحيرة البرلس
خيس
سمنها
بورت سعيد
بحيرة تنيس
سبخة بردويل
٦٣٩/١٢/١٢
العريش
رفح
٦٤٠/١/١٥
الفرما
رؤوس الادراب
طريق الفتح
بئر العبد
ابو الاصب
حصن مخرب
بحيرة التمساح
البحيرات المرة
القلزم
القصاصين
بلبيس
آذار ٦٤٠
معركة عين شمس
تموز/يوليو ٦٤٠
فرع دمياط
فرع رشيد
٦٤١/١/٨
الاسكندرية
الكريون
٦٤١/٧/١٥
سلطيس
كنوم شريك
نيقيوس ١٣ مايس/مايو ٦٤١
(نيكيو)
طرنوط
حصن بابليون
٦ نيسان (ابريل) ٦٤١
مصر
نهر النيل

٤ ـ يصعب على الجيش العربي التنقل في المناطق المزروعة والبساتين والأراضي المليئة بالترع وليس لديهم وسائط التجسس التي يحتاجها الجيش .

٥ ـ ان التنقل على الحافة يؤمن السرعة في الوصول الى الاهداف السوقية (الاستراتيجية) والتعبوية (التكتيكية) المقصودة .

ب ـ انحدر الجيش العربي باتجاه جنوبي غربي من الفرما على محاذاة دلتا النيل الشرقية فمر الجيش في منطقة التل الكبير فاحتل القواصر (*) والتي تسمى الان القصاصين ثم توقف فترة في وادي الطميلات قرب التل الكبير ومن ثم اصطدم بحامية بلبيس الرومانية التي كانت تشكل مواضع الدفاع الشرقية عن بابل المصرية (بابليون) أي القاهرة الحالية التي بنيت في منطقة بابليون .

ومدينة بلبيس من أعمال محافظة الشرقية وكانت تسمى فلبيس او فلابيس وكان القائد الروماني هو (الارطبون) نفسه الذي قاد الجيش الروماني في (اجنادين) ضد (عمرو بن العاص) والذي اشتهر بسعة الحيلة والدراية والذي سبق ان تغلب عليه عمرو بن العاص في فلسطين . فدارت حول اسوار المدينة معركة عنيفة بعد حصار دام شهرا انتصر فيها الجيش العربي وقضى على الحامية البيزنطية . وبلغت حراجة الموقف بالنسبة للروم مبلغا اضطر المقوقس حاكم مصر الروماني وثيودور القائد العام للقوات الرومانية في مصر ان يسرعا من الاسكندرية الى بابل (بابليون) وتحصنا فيها للدفاع عن مصر . وكان العرب قد أسروا قرب بلبيس أرمانوسة بنت المقوقس التي كانت في طريقها الى الشام لتزف الى قسطنطين بن هرقل . فأعادها عمرو الى أبيها مع ماكان معها من الاموال والحلى والجواهر .

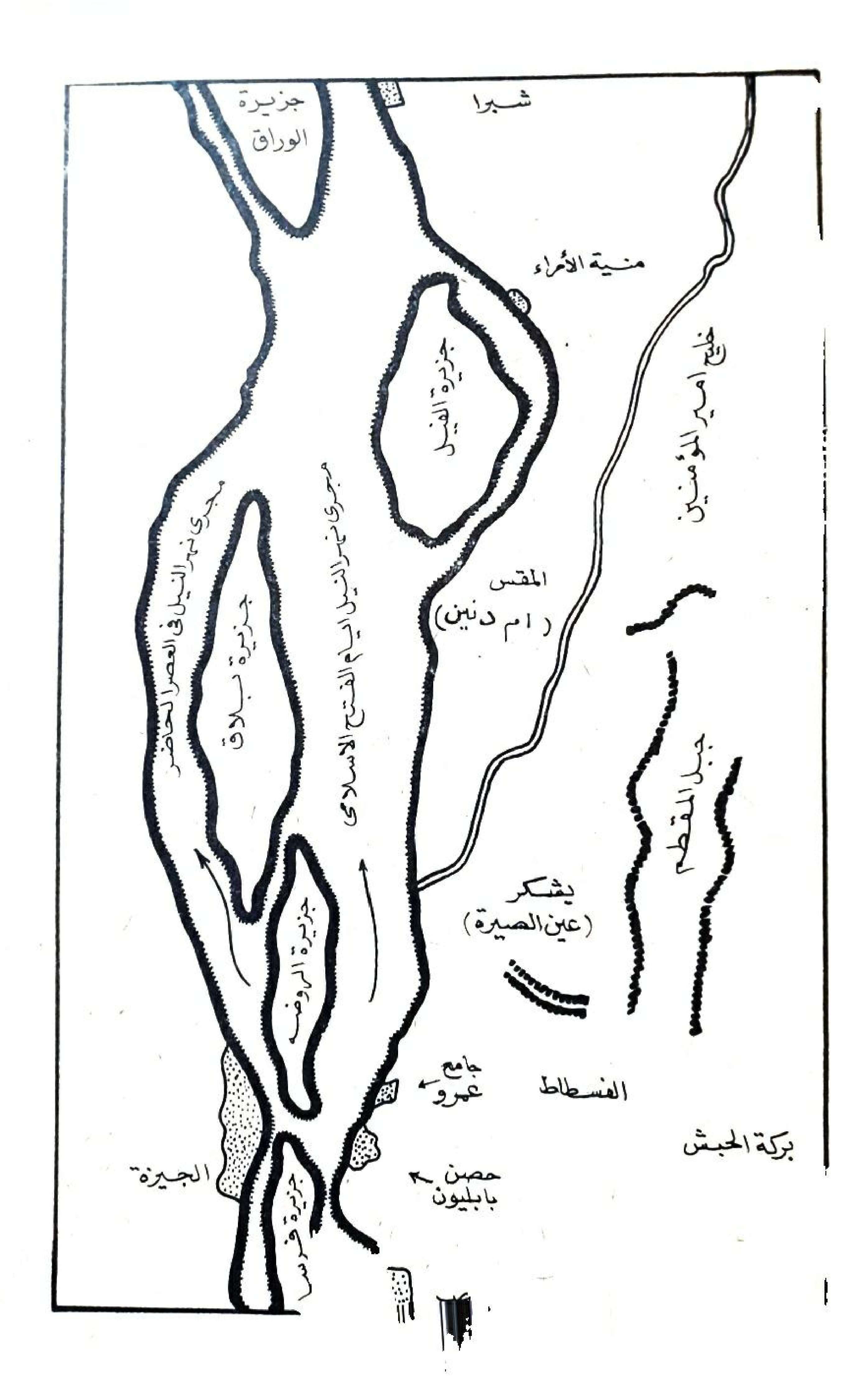
(*) يعرف موضع القواصر بالجعافرة بمركز فاقوس بالشرقية والقواصر كما يقول ياقوت كان قوصرة التمر بن الفرما والفسطاط .

التقدم نحـو بابليون (القاهرة الحالية) :

آ – تقع مدينة بابل (بابليون) عند الرأس الجنوبي لمثلث دلتا النيـل . وفي منطقة القاهـرة القديمة (الفسطاط) على الطريق بين القاهرة الى حلوان وقد اطلق أسم بابل على الحصن القديم الملك العربي العراقي بختنصر عندما غزا مصر عام/٥٦٧ قبل الميلاد – على ما ذكرته بعض المصادر – . وكانت حتى عام (٦٤٠) ميلادية عندما تقدم اليها عمرو، مدينة عامرة تحيطها الاسوار والحصون وتعلوهـا الابراج الحصينة من كل جانب على الاسوار الرباعية غير المنتظمة وكان عرض السور ثمانية أقدام وارتفاعه ستين قدما مبنيا بالحجارة والآجر . ويوجد برجان كبيران فوق السور عدا الابراج الصغيرة الاخرى . ويبلغ طول البرج الكبير منها ألف قدم وعرضه خمسمائة قدم في ناحية وثلثمائة قدم في الناحية الاخرى . وتقع طبعا أحد جوانب السور على النيـل وللحصن هناك ميناء نهري حصين . اما الجوانب الاخرى من الاسوار فيحيطها خندق عميق عريض مملوء بماء النيل ليكون عائقاً خطيرا يمنع الغزاة من الوصول الى الاسوار .

وتقع أمام قلعة بابل (بابليون) جـزيرة الروضة التي يحيط بها نهـر النيـل وكانت تحوي تحصينات قوية وحامية رومية قوية أيضـا . وكان مجموع الحاميـة في حصن بابـل حوالي سـتة آلاف مقاتل . وسماها المؤرخون العـرب (بابليون) نقلا عما كان يسمعونه من سكانها ومن الروم . فان أسم بابل باللاتينية أو اللغات الاوربية هو (بابلون) وقد أخطأ بعض المؤرخين العـرب فسموها أو بالاحرى حرفوا الأسـم فسموها (بابليونـه) أو بـاب اليونـه وأحيانا (اليونة) . ان اسمها الصحيح بالعربية (بابل) (*) .

(*) تعددت الاقوال في اصل بابليون وهناك آراء كثيرة وردت على لسان المؤرخين القدماء ديودور الصقلي واسترابون وحنا النقيوسي وغيرهم: ذكر حنا: «ان اصل الحصن بناء اقامة بختنصر وسماه باسم عاصمة ملكـه (بابليون) لما غزا مصر اما استرابون فذكر : « انه رأى حصنا ... عرف باسم بابليون لان جماعة من اسرى بابل اقامت فيه وقال ديودور : ان ملك مصر سيزوستريس جاء بجماعة من الاسرى البابليين وانزلهم في قصره فاطلقوا على القصر اسـم المدينة التي جاءوا منها . ومنهم من يرجع الاسم الى الاصل المصرى القديم ومنه انتقـل الى اليونانية . »


جزيرة الوراق
شبرا
منية الأمراء
جزيرة الفيل
خليج امير المؤمنين
مجرى نهر النيل في العصر الحاضر
مجرى نهر النيل أيام الفتح الاسلامى
جزيرة بولاق
المقس
(ام دنين)
جبل المقطم
يشكر
(عين الصيرة)
جزيرة الروضة
جامع
عمرو
الفسطاط
بركة الحبش
الجيزة
حصن
بابليون
جزيرة فرس

ب ـ تقدم الجيش العربي بعد نجاحه في معركة بلبيس والقضاء على حاميتها نحو موقع القاهرة الحالية (بابليون) . بحذر فوصلها في اوائل شهر نيسان (ابريل) عام / ٦٤٠ . فيكون عمرو قد قطع حوالي اربعمائة كيلو متر من العريش الى القاهرة مدمرا الحاميات الرومية في طريقه واضطرها على التخلي عن العريش والفرما وبلبيس ، والانكفاء وراء حصون بابليون كل ذلك في أقل من اربعة شهور فقط وبقوة كان تعدادها في رفح في فلسطين ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل وفي تقديري ان عددها حول اسوار بابل (بابليون) لم يعد يتجاوز الثلاثة آلاف مقاتل .

جـ ـ لقد حاول عمرو ان يظهر للعدو قوته لاضعاف معنويات الحامية الرومية التي تعدادها في الحصن (٦ آلاف) كما اسلفت وتعداد الجيش الرومي في مصر أضعاف هذا العدد . فشن هجمات محدودة عديدة وفي مختلف الاتجاهات تقريبا . كما حاول الروم انهاك القطعات العربية بسلسلة من المعارك اليومية خارج الاسوار ولم يكن الحصار قد فرض على مدينة بابل (بابليون) لقلة عدد الجيش العربي كما أسلفت وبعد سلسلة من معارك التقويض تمكن عمرو من احتلال موقع (ام دنين) الميناء النهري شمال بابليون فاستند عليه في شن هجمات محدودة وقتال الدوريات في الارض الخضراء والبساتين بين ام دنين وبابل (بابليون) .

د ـ ويبدو ان تورط العرب في معارك مصر قد اضطر القائد عمرو الى طلب النجدات من القائد العام الخليفة عمر وان الاخير خوفا منه على الجيش العربي خصوصا وانه كان بالاساس غير متحمس لغزو مصر قد أرسل نجدة قوية لعمرو بن العاص بقوة (١٢) ألف مقاتل بقيادة البطل الزبير بن العوام ، وأظن ان طلب النجدات قد حصل بعد احتلال الفرما . اذ ان هذه النجدات لم تصل الى ميدان المعركة الا في اوائل ايلول ـ سبتمبر ٦٤٠ م / ١٩ هـ .

هـ ـ وهنا تبرز عبقرية القائد الداهية ابن العاص فماذا يعمل وجيشه قليل العدد امام قوى الروم التي تتكاثر وأمام الحصن

الحصين في بابليون وكيف يتصرف والنجدات لم تصل اليه حتى ذلك الحين وقد جرب شهرى آذار (مارس) ونيسان (أبريل) في احتلال مدينة بابل (بابليون) وحصنها فلم يفلح ، فلم يبق له لحين وصول النجدات بغية تثبيت وتجميد الحاميات الرومية ومنعها من التجمع في بابل ورفع معنويات جنوده . كما ارى ، إلا القيام بغارة غير متوقعة تتحقق فيها المباغتة الكاملة في الزمان والمكان والعدد . ويحصل فيها على غنائم كثيرة ، وفي منطقة لا يتوقعها العدو . لذلك قرر القيام بغارة خاطفة على الفيوم الغنية الكائنة على بعد خمسين ميلا جنوب غربي القاهرة .

و ـ ويبدو ان احتلال ميناء (ام دنين) النهري شمال بابليون كان بقصد الاستفادة منه ومن السفن فيه لعبور النيل نحو الفيوم وهذا ما حصل بالفعل فقد قام عمرو بهذه الغارة الناجحة فحصل على غنائم كثيرة وتمكن من قتل قائد حامية الفيوم الرومي (يوحنا) ولم يتمكن من احتلال المدينة ولا أظنه كان يريد احتلال المدينة أو محاصرتها فان ذلك يتطلب وقتا ويتطلب عددا كبيرا من الرجال لم يكن عمرو قد خطط له .

ز ـ وقد ترك منطقة الفيوم عائدا الى بابليون بسرعة للاسباب التالية : ـ

١ ـ وصول الانباء عن قرب وصول النجدات الى مصر وانها في طريقها الى وادي النيل .

٢ ـ خوفه من ان يقوم ثيودور بقطع الطريق عليه أو التصدي للنجدات في الوقت الذي يكون عمرو بعيدا في الفيوم والنيل يفصل بين عمرو والنجدات .

٣ ـ لايوجد سبب لاستمرار بقائه في منطقة الفيوم بعد ان غنم عددا كبيرا من الغنائم واهمها الماشية .

٤ ـ ابتعاده فترة طويلة ودون مضايقة الحامية الرومية في بابليون قد يرفع معنويات تلك الحامية ويفسر في الدلتا النيلية على ضعف العرب وانحسار وجودهم .

٥ ـ خوفه من قيام ثيودور بعملية خروج واسعة النطاق ضد القوة العربية القليلة التي تركها عمرو تواجه الروم امام مدينة (بابليون) .

ح ـ لقد حاول القائد الروماني العام ثيودور حشد قطعات كبيرة في بابليون من مختلف انحاء مصر لتوجيه ضربة قاصمة للجيش العربي خصوصا وانه قد انقسم الى عدة أقسام احدهما مع عمرو في الفيوم والآخر يواجه بابل (بابليون) والثالث يعبر سيناء قادما من العقبة في طريقه الى ميدان المعركة حول بابليون . الا ان هذا القائد ثيودور قد تباطأ كما يبدو وأضاع فرصة ثمينة جدا في ضرب الجيش العربي . وكان عليه الخروج بسرعة من بابليون بحركة خاطفة وبعزم لضرب بقايا جيش عمرو في منطقة أم دنين وشمال بابليون . ومن ثم قطع الطريق على عمرو في منطقة الفيوم وابادة جيشه ، الا ان ثيودور لم يفعل ذلك ويبدو ان سباق الوقت كان في صالح القائد عمرو اذ انه خطط لذلك من ناحية الوقت وباغت العدو بغارته على الفيوم وكان قد حسب حسابا لذهنية وأسلوب قتال الروم وقائدهم ثيودور المتراخي .

ط ـ ولذلك نراه عندما شعر بوصول النجدات في أوائل حزيران (يونيو) ٦٤٠م ونوايا ثيودور استدار بسرعة نحو الدلتا تاركا الفيوم ، وفي يوم وليلة كان جيش عمرو يقف على الجانب الغربي من النيل في منطقة ممفيس مقابل بابل (بابليون) بينما يقف الزبير بن العوام على رأس جيش من (١٢) الف مقاتل وهي النجدات في هليوبوليس (عين شمس) على بعد (٦) أميال شمال بابليون بينما يقف ثيودور في بابليون على رأس جيش كبير يزيد على خمسين ألف مقاتل قد حشده لضرب الجيش العربي ولكنه تأخر في ذلك وفي استخدامه ، فتمكن عمرو من عبور النيل والالتحاق بالنجدات في عين شمس فتأمنت وحدة الجيش .

* * *

معركة عين شمس (هليوبوليس)

آ ـ ميدان المعركة :

يقع ميدان المعركة في نفس موقع مدينة القاهرة الحالية . واهم العوارض الطبيعية التي يمكن الاشارة اليها هي جبل المقطم وقلعة القاهرة في الشرق ومدينة بابليون في الجنوب ونهر النيل في نفس موقعه الحالي من الغرب والصخور الصحراوية المرتفعة عند هليوبلس (مصر الجديدة) وقرية عين شمس الحالية من الشمال . وكانت المنطقة المحصورة ضمن هذه الحدود ارضاً زراعية وبساتين جيدة ويانعة وتعتبر سهلا ملائما لقتال الخيالة والمشاة .

ب ـ خطط المعركة :

أولا ـ لقد ارتضى كلا الطرفين دخول المعركة في هذه المنطقة لأسباب يراها كل منهما واردة جدا ، فهي بالنسبة لعمرو قريبة من الصحراء فان فشل احتمى بالصحراء وان أنتصر قام بدخول بابليون واقتحام الحصن كما انها في نظر ابن العاص قد آن أوانها خصوصا بعد ان وصلت النجدات . وهي بالنسبة لثيودور أرضه والميدان الذي يعرفه جيدا وأرضها ملائمة للروم بما يحسنونه من القتال في المناطق المزروعة، كما انه إن فشل في المعركة يعود محتميا بالحصون في بابليون كما انه لم يعد ما يبرر التريث خصوصا بعد ان حشد جيشا ضخما لضرب العرب .

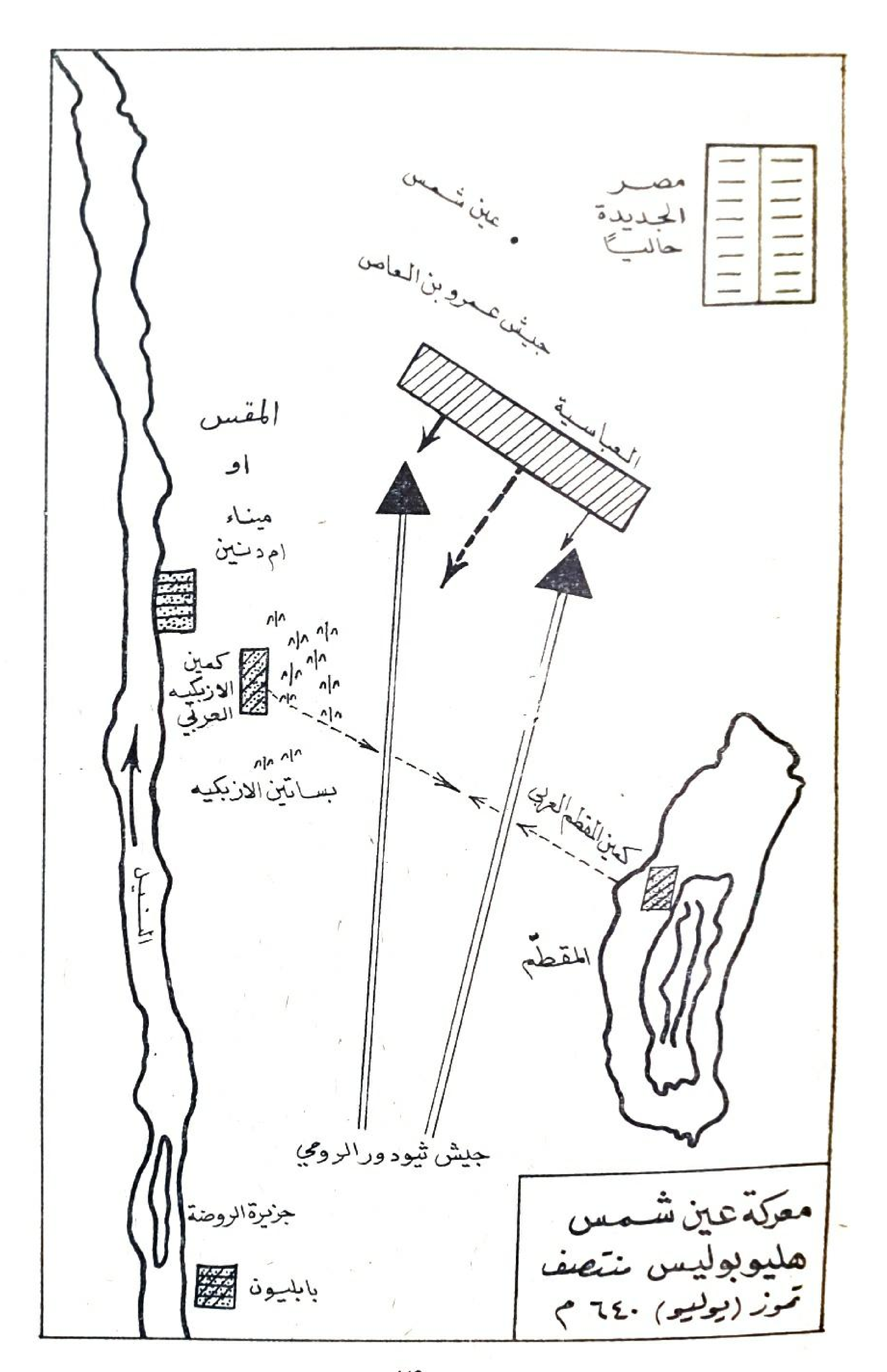
ثانيا ـ **خطة ثيودور :**

الخروج من بابليون والاندفاع شمالاً بأقصى سرعة وبكامل قواته لتحطيم الجيش العربي في هليوبوليس .

ثالثا ـ **خطة عمرو بن العاص :**

١ ـ وضع كمين قوي في تلال المقطم عند قلعة القاهرة بقيادة اللخمي .

٢ ـ وضع كمين قوي قبل النيل في موضع عند الازبكية يكمن في بساتينها بقيادة خارجة بن حذافة .


مصر
الجديدة
حاليًا
عين شمس
جيش عمرو بن العاص
العباسية
المقس
او
ميناء
ام دنين
كمين
الازبكيه
العربي
بساتين الازبكيه
كمين المقطم العربي
المقطم
النيل
جيش ثيودور الرومي
جزيرة الروضة
بابليون
معركة عين شمس
هليوبوليس منتصف
تموز (يوليو) ٦٤٠ م

٣ ـ قبول المعـركة والدفاع في هليوبوليس حتى يتم زج كل الجيش الرومي بالمعركة .

٤ ـ بعد اشتباك الطرفين اشتباكا عنيفا تقوم كتيبة المقطم بالاندفاع بشدة نحو جناح الروم الأيمن وباتجاه الازبكية .

٥ ـ بعد نجاح كتيبة المقطم بالهجوم تقوم كتيبة الازبكية بالهجـوم بأتجاه القلعة في المقطم لتلتقي مع كتيبتها فيتم بذلك قطع خط الرجعة على الروم أو اجبارهم على الهزيمة أمام الجيش العربي في هليوبوليس .

جـ ـ المعــــركة :

أولا ـ قام ثيودور بتنفيذ خطته في منتصف شهر تموز يوليـو عام/ ٦٤٠ م بهجوم عاصف على القطعات العربية في هليوبوليس مخترقا السهل الفسيح بين النيل والقلعة وأشتبك مع عمرو في معركة حامية الوطيس أثرت على الجيش العربي تأثيرا شديداً .

ثانيا ـ وهنا عندما توضحت الامور لعمرو بأن الجيش الرومي قد اشتبك بكامل عدده أوعز الى كتيبة القلعة بالهجوم على الجنـاح الأيمن الرومي بعزم وشدة فنفذت الـكتيبة وأجبها كما يرام فبوغت الروم وحاول ثيودور أتقاء هذا الخطر بسحب عدد من قطعاته مـن الجبهة لصد اندفاع الكتيبة نحو مؤخرته الأمر الذي خفف كثيرا من ضغط ثيودور على عمرو في هليوبوليس .

ثالثا ـ وبعد ان أخلّ عمرو بترتيبات الهجوم البيزنطي أوعـز الى كتيبة الأزبكية (حديقة الأزبكية) بالهجوم العاصف على مؤخـرة الروم والالتقاء مع كتيبة القلعة فقامت الكتيبة بعملية ضغط شـديد لم يحتملها ثيودور واربكت خططه كلها فاضطر الى التخلي عن الهجوم على هليوبوليس والتراجـع نحـو بابليون . وعنـدما شـعر القائـد العبقري ابن العـاص بذلك قام بدوره بالهجـوم الشديد على جبهـة الجيش الرومي لتحطيمه وعدم فسح المجال له بالتراجع فـدارت اشد المعارك في مصر تحطمت فيها القطعات الرومية وابيـد معظمها

فانهـزمت فلولهـا مذعـورة الـى داخـل حصن بابليـون واغلقت ابوابـه واضطرت الى التخلي عن مدينـة بابليـون نفسـها فاحتلها عمـرو في نفس اليـوم وهي التي سميت الفسطاط . اذ بنى عمـرو المسجد الجامع المسمى مسجد عمرو بن العاص فيها واقام دار الامارة والمؤسسـات الرسمية للدولة . وهي الآن تسمى مصر القديمة وتشكل الجزء الجنوبي من مدينة القاهرة الحالية .

رابعا ــ وعلى أثر انسحاب فلول القوات الرومانية الى داخـل حصن بابليون أستتب الأمر للجيش العربي في منطقة القاهرة . فدفع القائد بقوات صغيرة احتلت منطقة الفيوم الفنية بعد ان تركتهـا حاميتها الرومانية منسحبة منحدرة مع النيـل نحو منطقة شـمال القـاهرة .

خامسا ــ وبعد ان اتم احتلال الفيوم والمناطق المحيطة بالقاهرة دفع عمرو بقطعات خفيفة سريعة نحو الشمال . فاحتل مدينتـي منوف وتفيس اللتين تقعان على بعد (٣٥) ميلا شمال القاهرة(بابليون) في اوائل آب أغسطس عام/ ٦٤٠ وتقديري انه هدف الى : ــ

١ ــ الحصول على منطقة أمينة بعمق كاف يمنع وصول نجدة الروم الى الحصن المحصور بسهولة .

٢ ــ الحصول على منطقة أمينة تصلح للزراعة ليستفيد منها الجيش العربي والمواطنون المصريون فينصرفون الـى مزاولة اعمالهم الاعتيادية .

٣ ــ مطاردة الجيش الروماني وأصابته بأكبر خسارة ممكنة .

٤ ــ جس نبض القوات الرومانية التي قد يجدها امامه عند زحفه القادم نحو الاسكندرية .

٥ ــ اظهار قوة العرب للسكان المصريين واقناعهم بعدم التعاون مع الرومانيين .

حصار حصن بابليون والمفاوضات

آ ـ الآن بعد احتلال منوف وتفيس في الشمال واحتلال الفيوم في الجنوب قد أصبح حصن بابليون أشبه بجزيرة وسط بحر من الجيش العربي والولاء للعرب ، وبعد مرور شهرين على الحصار ، اي ان الحصار ابتدا في بداية شهر اغسطس (آب) ٦٤٠ بعد هزيمة الروم في معركة هليوبوليس انسحب المقوقس (البطريك سيروس[١] كما ذكرته المصادر العربية) حاكم مصر من حصن بابل (بابليون) الى جزيرة الروضة المقابلة له وباشر بأرسال وفد لمفاوضة القائد عمرو بن العاص بصورة سرية .

ب ـ وكان المقوقس على درجة كبيرة من السخف اذ عرض على عمرو بن العاص قبول مبلغ من المال والانسحاب من مصر . وطبعاً كان الرد هو الرد التقليدي للقادة العرب حيثما كانوا وهو اختيار احد السبل الثلاثة ، أما قبول الاسلام أو دفع الجزية أو القتال . وكان المفاوض العربي هو عبادة بن الصامت الخزرجي [٢] .

جـ ـ وحاول المقوقس تكرارا أقناع الوفد العربي عن طريق التهديدبأن الروم يجمعون اقصى طاقة لتدميرهم ، ولكن الوفدالعربي افهمه انهم لا يأبهون بكثرة تعداد الروم مهما كان كبيرا ، وان كل جندي عربي يأمل الشهادة في سبيل الله لا العودة سالما غانما . وان قلة عددهم

---

(١) وجاء اسمه بصيغة كورش او قيرس ، الذي كان الى ذلك الحين اسقف (فاسيس) في القبق المعروفة اليوم بالقوقاز ، وقد عين بطريركاً ملكانياً (مارونياً) على الاسكندرية ورأساً للادارة في وقت معاً ، لاجبار اهل مصر ، (اليعاقبة) على اعتناق مذهبه . وقد سماه الكندي في كتابه (ولاة مصر) ، المقوقس بن قرقب اليوناني او (قرقر) او كريكور في الارمنية . اما ابن عبدالحكم فيقول : «انه جريج بن مينا بن قرقت . وبين المؤرخين اختلاف حول ذلك هل اسم لشخص واحد ، او ان هناك شخصاً آخر بهذا الاسم .

(٢) هو ابو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن احزم الانصاري الخزرجي المتوفى بفلسطين سنة ٣٤ هـ وهناك رأي يقول ان مندوب عمرو للمفاوضة مع المقوقس هو قيس بن سعد ، والراى الاول هو المرجح .

نسبة لكثرة تعداد العدو لا تخيفهم ، فان الله تعالى اكد لهم ان النصر حليفهم ، واستشهدوا بالآيــة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) ورفضوا ان يستمعوا او يقبلوا اي عرض سوى العروض الثلاثة وهي الاسلام أو الجزية أو الحرب .

وحاول المقوقس للخروج من المأزق الذي وصلت اليه المفاوضات ان يطلب فترة من الوقت للتفكير ، فرفض عمرو بن العاص ان يمهلهم اكثر من ثلاثة أيام .

د ـ ويبدو ان المقوقس كان يريد تخدير الجيش العــــربي واستغلال الفرص السانحة . وفعــلا ما ان انتهت الايام الثلاثة حتى شن الروم صبيحة اليوم الرابع هجوما شديدا مباغتا خارج اسوار الحصن ، فدارت معركة عنيفة بالسلاح الأبيض تحطم فيها الهجوم الروماني والتجأت الحامية الرومانية من جديد الى الحصن .

هـ ـ ويبدو ان هذا الفشل قد اضعف العناصر التي كانــت تنادي بأستمرار المقاومة وهنا أصبح المقوقس أكثر حرية في اتخــاذ القرار سواء بالصلح أو الحرب .

واستؤنفت المفاوضات مجددا وتم التوصل الى اتفاق على عقد صلح يستند على الجزية التي يدفعها الروم مقابل تمتع المسيحيين بحــرية العبــادة وضمان الحماية لهم . وأشترط في الاتفــاق ضرورة موافقة الامبراطور هرقل عليه والا يصبح لاغياً .

لم تنجح محاولات المقوقس لاقناع الامبراطور بعقد الصــلح واعقبه عزل المقوقس عن مصر ونفيه .

* * *

احتلال حصن بابليون

أ ـ استئناف المعـارك :

وقـد استؤنفت المعارك بعـد ان ذاع نبـأ رفض الامبراطـور للصلح ولم يتمكن الجيش العربي طيلة المدة من اقتحام الحصـن أو الاضرار بحاميته ، وفي الشتاء انحسرت مياه الفيضانات ونـزل مستوى الماء في الخندق المحيط بالحصن ، وفي آذار (مايس) ٦٤١ م توفى الامبراطـور هرقـل . وكانت وفـاة الامبراطـور ذات تأثيرين مختلفين على كل من الجيشين . فقد أضعف الحدث معنويات الروم ، بينما رفع ذلك من معنويات العـرب الى حد بعيد .

ب ـ معـركة الاقتحـام :

أولا ـ يبدو ان الحصار الذي دام ثمانية شهور قد أتى بالنتائج التاليـــة : ـ

١ ـ انهيار معنويات الحامية الرومانية .

٢ ـ وقوع خسائر كبيرة في صفوف الروم نتيجـة المرض والجـوع .

٣ ـ انقطاع مصادر التموين والامداد بالتجهيزات العسكرية .

٤ ـ ارتفاع معنويات العرب .

٥ ـ حصول القيادة العربية على تصور أحسن لكيفية معالجة الحصن واقتحامه .

٦ ـ اجراء استطلاعات واسعة ومفصلة من قبل العـرب وبالأخص قائدهم عمرو بن العاص .

٧ ـ اكمال الاستعدادات الادارية والتجهيزات المطلوبة لعملية الاقتحـام .

ثانيا ـ **الخطـة : استهدفت الخطة تثبيت الامور التالية :ـ**

١ ـ استطلاع مفصل للخندق المحيط بالحصن .

٢ ـ استطلاع مفصل للسور .

٣ ـ تثبيت اماكن عبور الخندق واقتحام السور .

٤ ـ تثبيت الاحتياجات .

عدد السلالم المطلوبة .
كيفية سد او تجسير الخندق .

٥ ـ انتخاب وتثبيت عدد مجموعة الصولة والاقتحام .

٦ ـ القرار على استغلال النجاح وتهيأة مجموعات الاقتحام الرئيسية التي تعقب مجموعة الصولة الاولى .

٧ ـ الاسناد الناري ـ طبعا لم تكن للعرب في هذا المجال سوى النبال لذلك تقرر أن يغطي الجيش اندفاع مجموعة الصولة عبر الخندق والسلالم بزوبعة من النبال لاجبار الروم على الاختفاء وعدم ايقاع خسائر في صفوف الصولة .

٨ ـ وقت الهجوم ليلاً قبيل الفجر (٦/نيسان أبريل/٦٤١) .

٩ ـ اشارة النجاح : التكبير : الله أكبر الله اكبر .

ثالثا ـ المعركة : لقد تم كل ذلك بدقة وأمعان وتقدم الزبير بن العوام الأسدي شاهرا سيفه وكان يقود مجموعة الصولة وعلى رأسهم محمد بن مسلمة ومالك بن ابي سلسلة السلامي والبقية من رجال بني حرام . وتحت عاصفة من رشقات النبال اجتاز الخندق هو ومجموعة الصولة ثم نصب السلم بنجاح فقفز عليه الزبير وتسلقت بعده القطعة العربية الاسوار من الجانب الشرقي من الحصن المقابل لجهة سوق الحمّام الآن ورددت التكبير المتفق عليه الله اكبر فوق الاسوار وكان شرحبيل ابن حجيه المرادي قد نجح في نصب سلم آخر

من جهـة الشمال الشرقي المقابل للزمامرة الان فدفع عمـرو بجيشه مستفلا النجـاح ودار التحـام فاصل بالسـلاح الابيض عبر الاسوار وكان عمـرو يرجـز وهو يصول كالليث فيقول :

يوم لهمدان ويوم للتصـدف والمنجنيق في بلى تختلـف

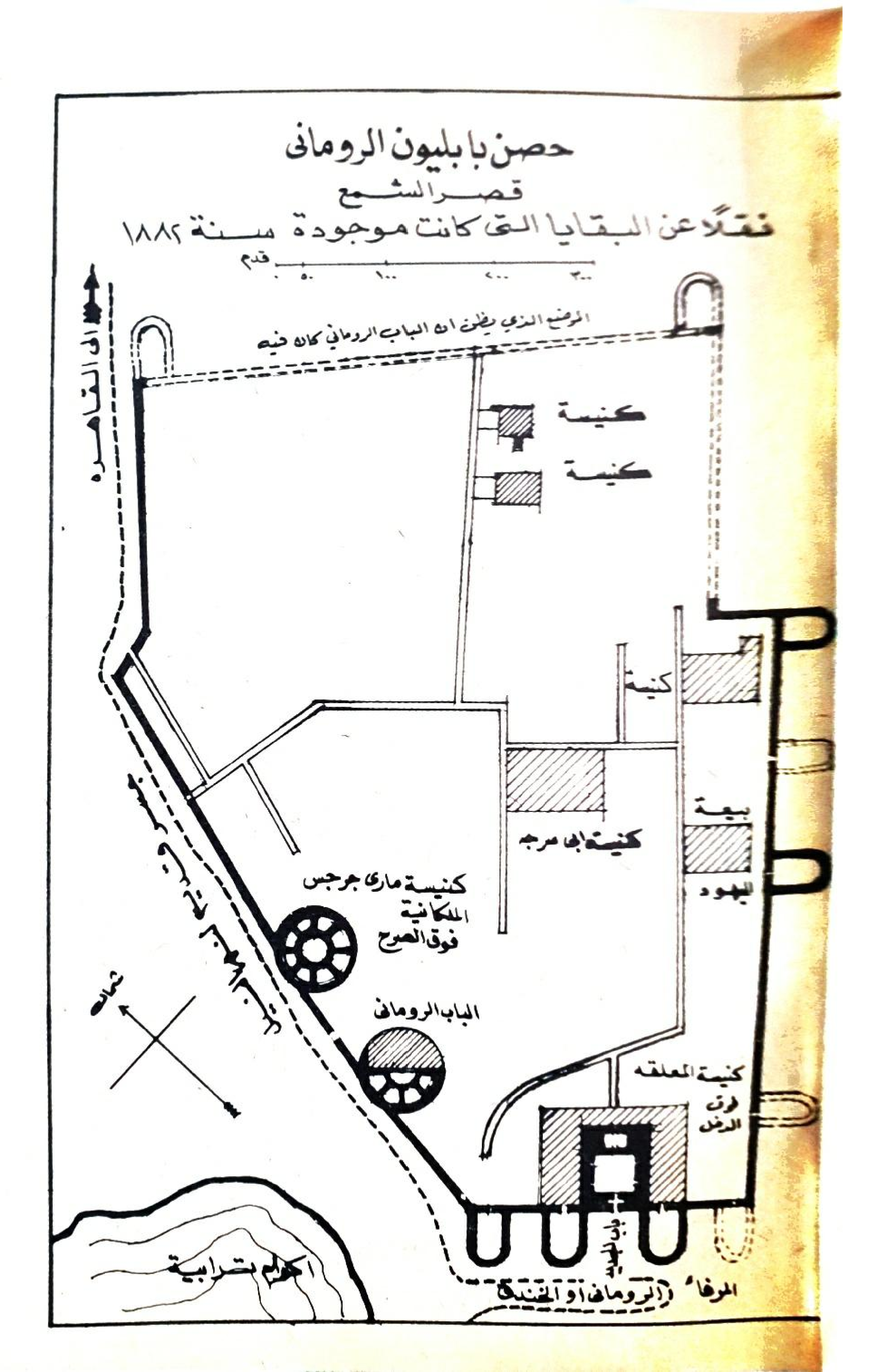
وعمرو يرقل ارقال الشيخ الخرف (*) .

★ ★ ★

وعند الفجر طلب قائد الحامية الروماني أيقاف القتال والتفاوض فقبل عمرو بن العاص الطلب فورا . فتقرر على أثرها تسليم الحصن بكل ما فيه من تجهيزات عسكرية ومستودعات ووسائل دفاعية مقابل السماح للحاميـة بالانسحاب شمالا بالمراكب النيليـة بعـد ثلاثة أيام . وفعلا تم ذلك في (٩/أبريل ـ نيسان/٦٤١) فاستتب للعـرب الامر نهائيا في مصر الوسطى والجنوبية .

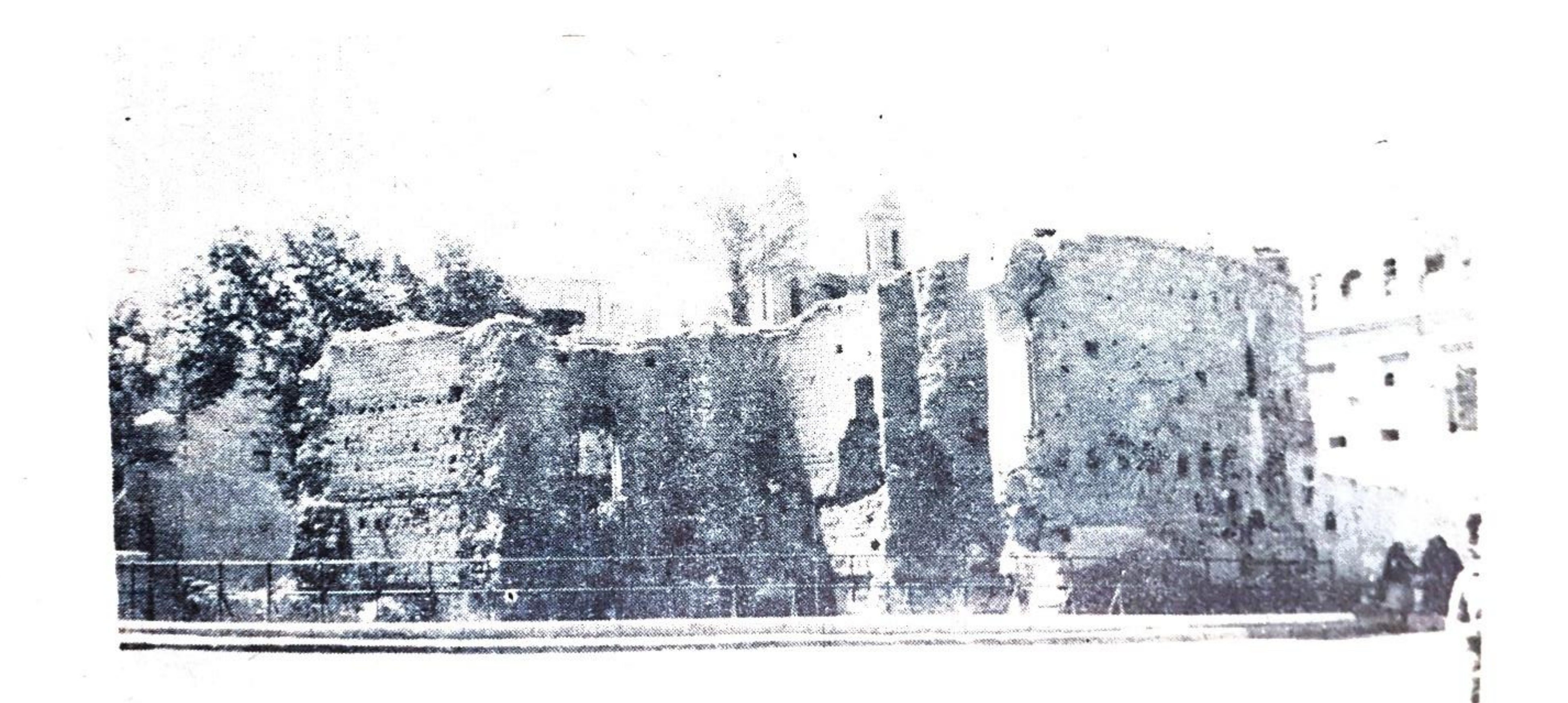
★ ★ ★

(*) منهم من يقرأه : عمرو له يرقل ارقال الخرف .

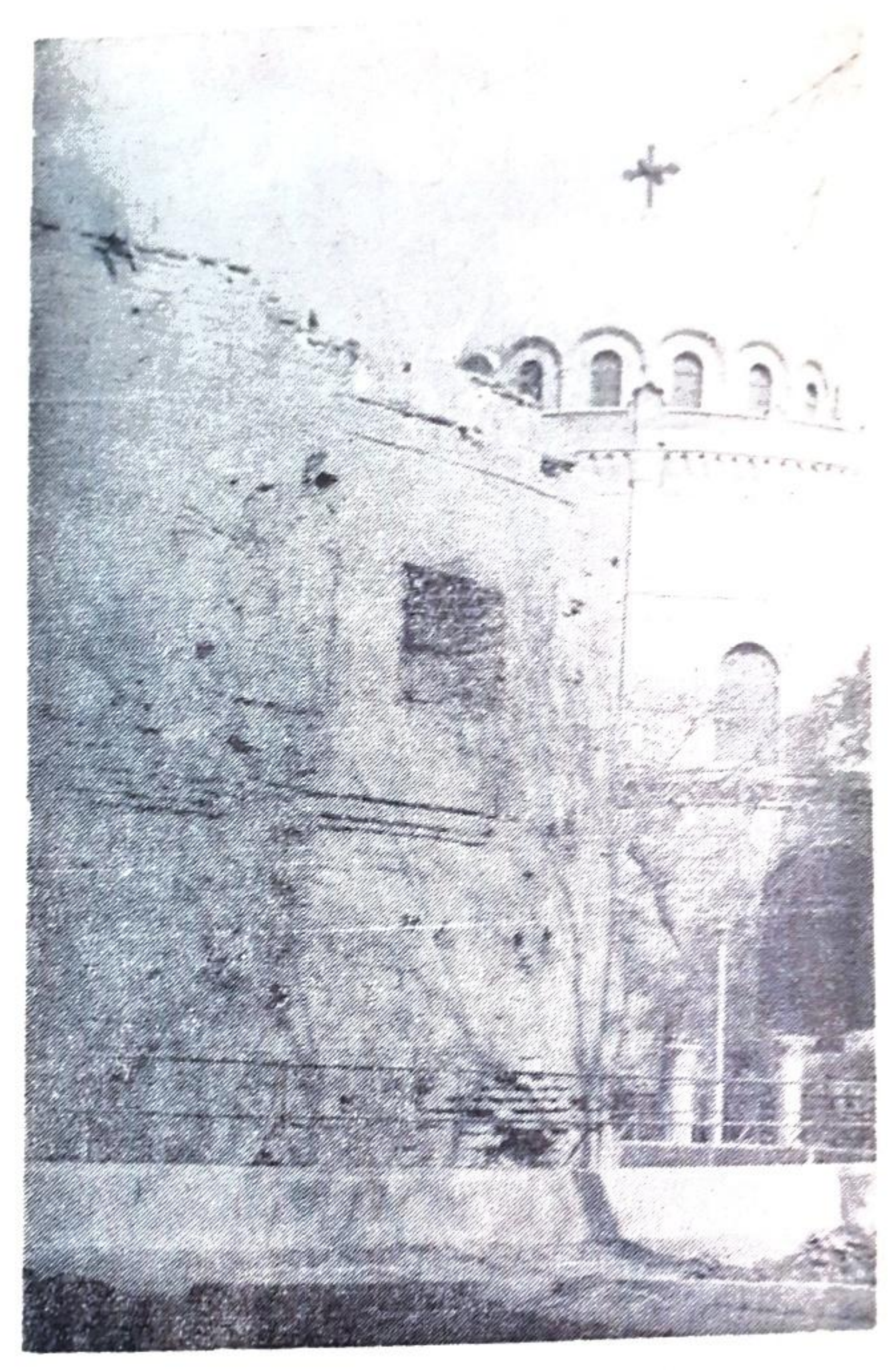


حصن بابليون الرومانى
قصر الشمع
نقلاً عن البقايا التى كانت موجودة سنة ١٨٨٢
قدم
٠ ٥٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠
الموضع الذي يظن انه الباب الروماني كان فيه
الى القاهرة
كنيسة
كنيسة
كنيسة
كنيسة ابى سرجه
بيعة
اليهود
كنيسة مارى جرجس
الملكانية
فوق الصرح
الباب الرومانى
شمال
كنيسة المعلقه
فوق
المدخل
باب الحديد
المرفأ الرومانى او الخندق
اكوام ترابية





حصن بابليون : منظر عام يبين بقايا البرج الايمن لمدخل الحصن الرئيسي ومع البرج الاخر بنيت كنيسة ماري جرجيس الملكانية



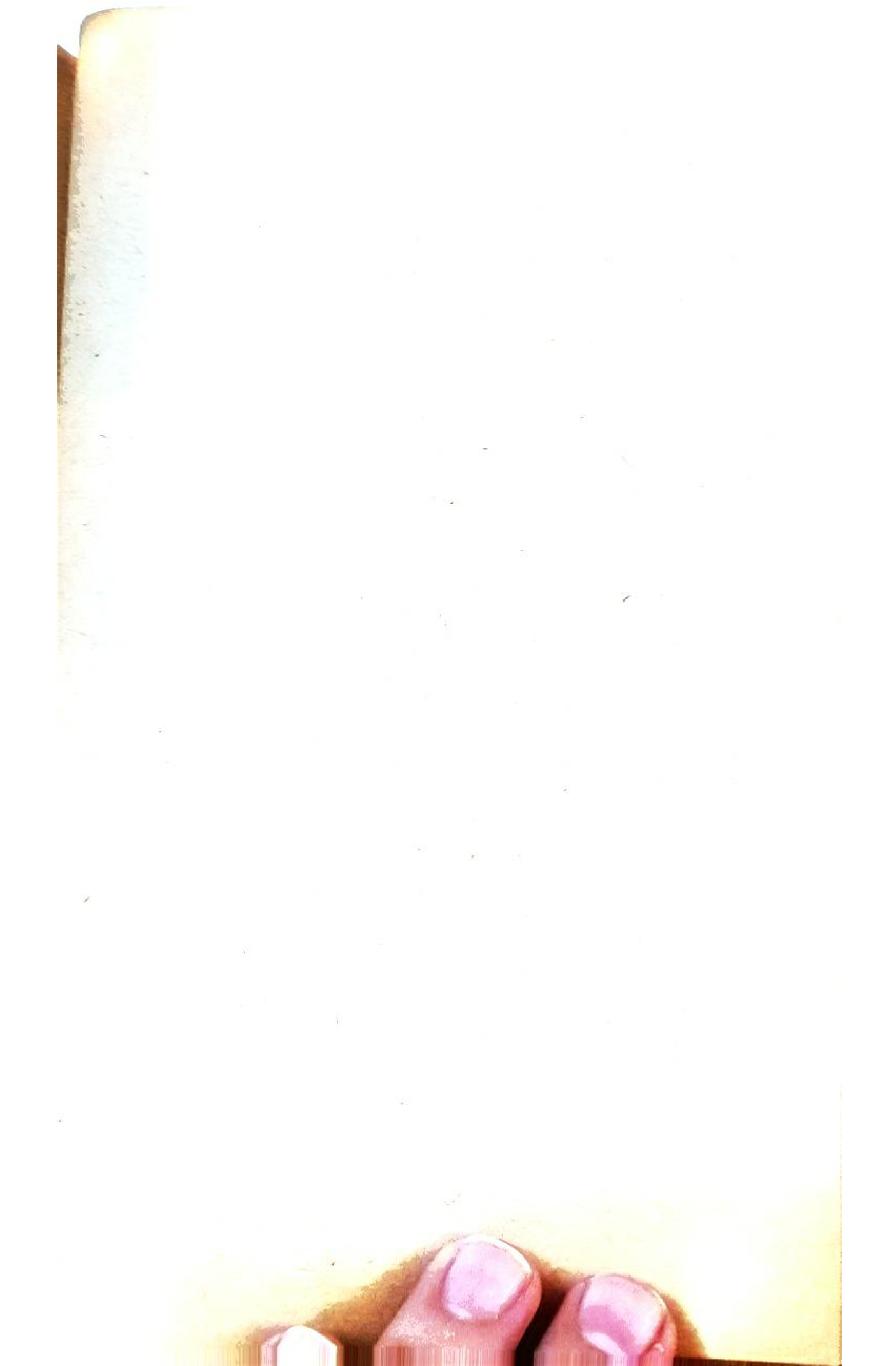
الباب الرومانى فى حصن بابليون

ويشاهد البرجان الرئيسان ، فالواقع الى اليسار باق كما هو ، أما الثانى الواقع الى اليمين فقد شيدت عليه كنيسة ماري جرجيس الملكانية .



حصن بابليون

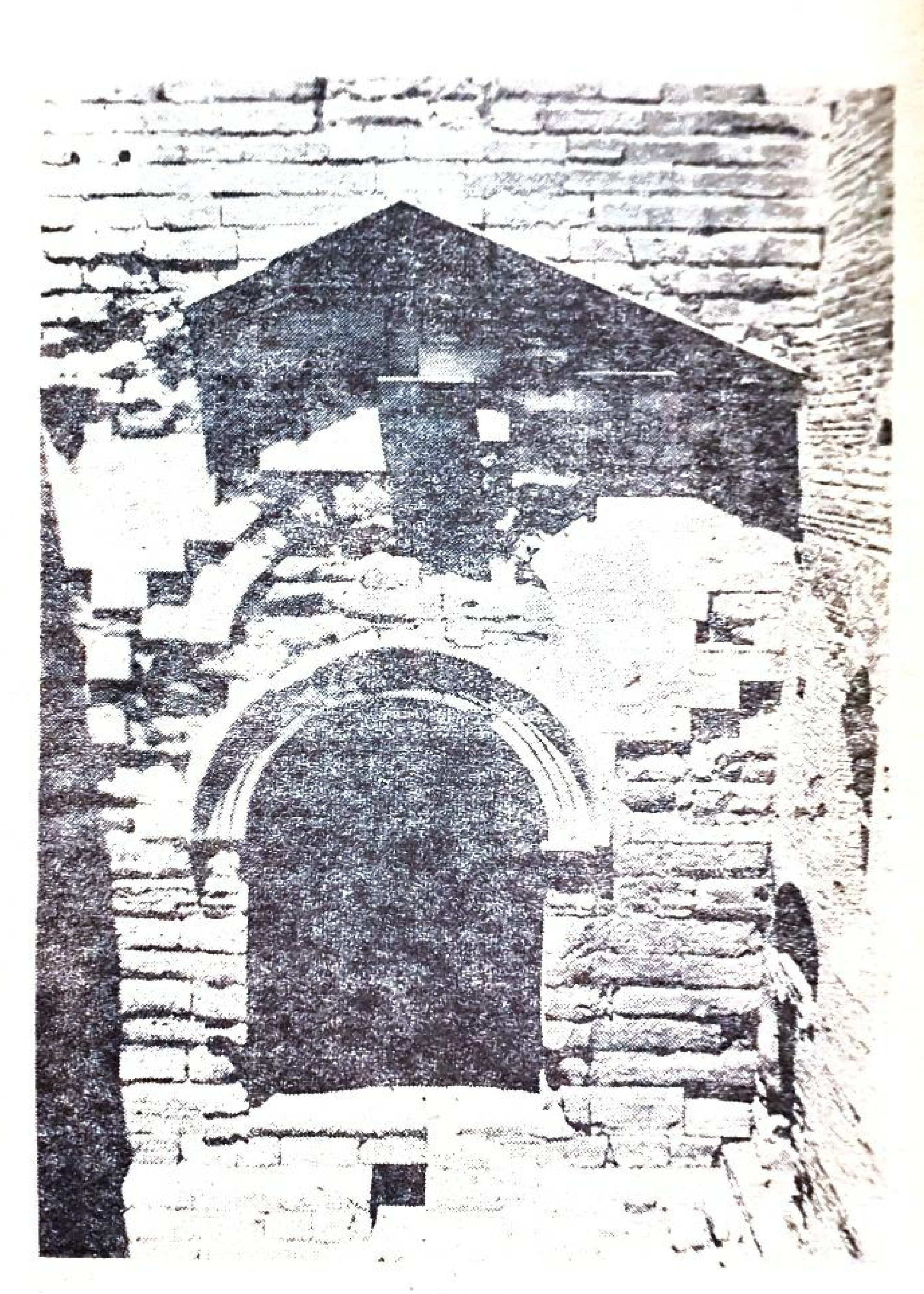
احـد ابراج الحصن كما تشاهد اليوم والمكان المؤشر ب (x) يمثل موضع السلم الذي صعد عليه الزبير بن العوام ومجموعة الصولة اثناء اقتحام الحصن





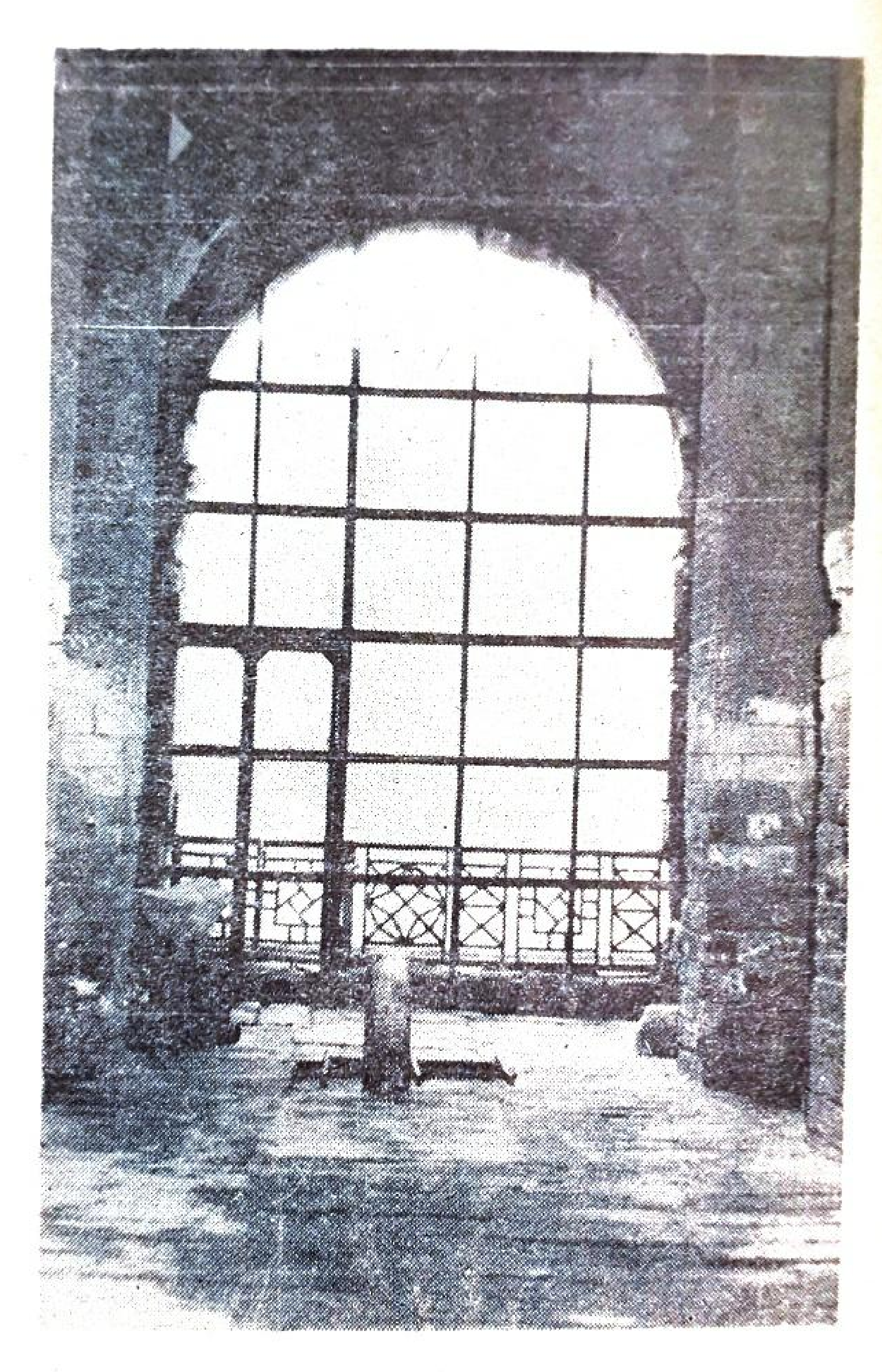
حصن بابليون

جانب من بقايا البرج الكبير على المدخل الرئيسى كما يشاهد اليوم .



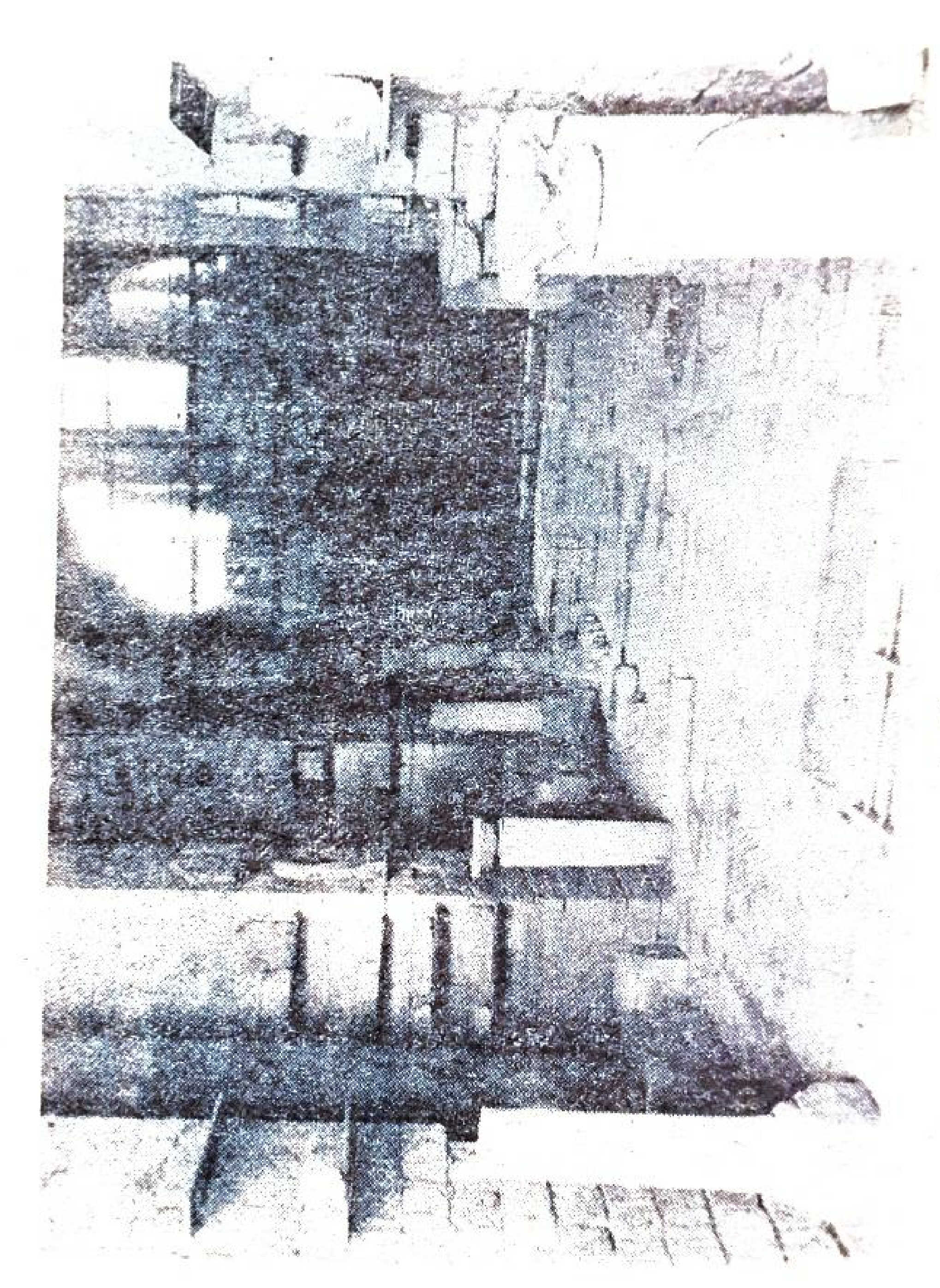
حصن بابليون

الباب الجنوبى الغربى للحصن المعروف بقصر الشمع .



باب الحديد من حصن بابليون

دخله عمرو بن العاص والفاتحون بعد اقتحام الخندق والاسوار ٠ وعلى يمين الباب **يقع البرج الذى تسلقه الزبير بن العوام وامام الباب وضع الجيش العربى السلم الذى استخدم للتسلق على الاسوار واقتحامها ٠**



داخل حصن بابليون
وقد جعل متحفا للآثار الرومانية والقبطية

التقدم نحو الاسكندرية

ذكر ابن عبدالحكم(١) ان ملك الرومقال
« لئن ظهرت العرب على الاسكندرية ففى
ذلك انقطاع الروم وهلاكهم » .

لقد اقام عمرو بن العاص حفلا كبيرا استمر يومين متعاقبين دعا فيه الجيش العربي كله وعددا كبيرا من اقباط مصر وألقى خطابا سياسيا هاما اوضح فيه غاية العرب والمسلمين من فتح مصر وتحريرها واسلوب معاملة المصريين ولماذا تغلب الجيش العربي على القوى الرومية الكبيرة .

وبعدها اصدر القائد امره بالتقدم نحو الاسكندرية تاركا في بابل (بابليون) حامية صغيرة بقيادة خارجة بن حذافة . وعندما هم جنوده بتقويض خيمة الفسطاط وجدوا فيها يمامة قد ابتنت لها عشا وباضت فيه وهنا استغل الداهية القائد عمرو هذا الحادث ليضرب مثلا لسكان وادي النيل عن نبل الفاتحين وحسن معاملتهم للحيوان فكيف ستكون معاملتهم لاخوانهم سكان مصر ، فأمر بعدم رفع الفسطاط طالما فيه اليمامة المستجيرة . وابتنى مدينة الفسطاط في منطقة الخيمة ولذلك سميت بالفسطاط وهي مدينة القاهرة القديمة .

زحف عمرو ببقية جيشه وبتعداد يقرب من عشرة آلاف مقاتل نحو الاسكندرية وقد اتخذ طريقه في مسير الاقتراب على الجانب الغربي من دلتا النيل ، أي معقبا نفس الطريق الصحراوي الحالي بين القاهرة والاسكندرية تقريبا . وذلك ليتجنب القتال في مناطق الترع والبرك والبساتين وليكون قريبا من الصحراء يلوذ بها اذا اندحرت قطعاته وهو اسلوب القتال المثالي بالنسبة للجيش العربي آوانئذ . فعبر من بابل (بابليون) نهر النيل الى الجيزة وسار بمحاذاة المزارع الخضراء من دلتا النيل واول اشتباك وقع بين الجيشين بعد

(١) هو عبدالرحمن بن عبدالحكم ١٨٧ - ٢٥٧ هـ = ٨٠٢/٣ - ٨٧١ م .

سقوط بابليون كان في (طرانه)* التي تبعد اربعين ميلا الى الشمال من بابليون وتسمى الآن (ترنوط) وهي قرية على النيل بمركز (كوم حمادة) من محافظة البحيرة وقد دافع الروم دفاعا مستميتا فيها الا ان الجيش العربي اضطرهم الى التخلي عن مواضعهم بعد معركة عنيفة والانسحاب شمالا .

استمر عمرو في التقدم نحو الاسكندرية معقبا المنطقة الغربية لضفة فرع النيل الغربي فوجد القطعات الرومية تتحصن في قلاع وتحصينات (نيكيو) (زاوية رزين) الكائنة على الضفة الشرقية من فرع النيل هذا وعلى مسافة (١٠) أميال شمال (طرانه) وكانت (نيكيو) تسمى (نيقيوس ومكانها الآن الكوم الاثري من (زاوية رزين) بمركز (منوف) والمعروف عند الاهالي بأسم (كوم مانوس) أو (دقيانوس) ويبدو ان هدف الروم هو :

اولا ـ كسب أطول مدة ممكنة من الوقت لتنظيم الدفاعات عن الاسكندرية .

ثانيا ـ ايقاع أكبر خسارة ممكنة بالجيش العربي في قتال التعويق هذا في مواضع متعددة على طريق تقدمه نحو الاسكندرية .

ثالثا ـ الاختفاء في تحصينات (نيكيو ـ نقيوس) لمباغتة العرب بعد زحفهم في الضفة الغربية ومن ثم العبور من (نيكيو) الى الجانب الآخر وقطع خط الرجعة على الجيش العربي الذي يكون قد تقدم شمالا نحو الاسكندرية .

رابعا ـ او اجبار الجيش العربي على العبور ومقاتلته في ظروف طبيعية وعسكرية في غير صالح العرب . اذ سيكون القتال في منطقة زراعية ويكون نهر النيل فاصلا بين الجيش العربي وخط مواصلاته .

(*) مدينة قديمة اسمها المصري (بردانوت) والرومي (ترونيس) والقبطي (ترنوط) او (طرنوط) ، وفي القرن السابع للهجرة سميت ب (طرانة) .

معـركة نيكيـو :

ولكن القائد الداهية الذي عرف معنويـات الروم واهميـة الوقت وضرورة الوصول الى الاسكندرية بسرعة فأسرع في الاستدارة يميناً فعبر نهر النيل مسرعا وهاجم حصون نيكيو ـ نقيوس (رزين) دون ان يضيع ساعة من الوقت هجوما صاعقا فتمكن من اقتحـام الحصون عنـوة واجبر حاميتها (١) على الهزيمة هربا بالزوارق نحـو الشمال واغتنمها فرصـة ممتازة للقيـام بمطاردة مثاليـة للقطعـات الرومية فأبادها على ضفاف النيـل وفي وسطه ابادة تامـة وكان ذلك في ١٣ مايس (مايـو) عـام ٦٤١ م .

معـركة دمنهـور :

وبعد فترة اعادة تنظيم القطعات في (نيكيو) استغرقت أياما قليلة سارع عمرو الى عبور النيل الى الضفة الغربية وواصل الزحف نحو الاسكندرية .

وفي هذه المرة دفع عمرو بقطعاته السـيارة (الخيالة) الى الامام بعيدا على طريق الاسكندرية بقيادة (شريك بن الحارث بن سمى) فاشتبكت مع الروم في معركة ضارية جديدة الى الجنوب من دمنهور في منطقة (كوم شريك) الكائنـة على مسافة ١٦ ميلا شـمال ترنوط (طرانه) ومعروفة الى اليوم بأسم (كوم شريك) وهي قرية من قرى (كوم حمادة) وعجزت عن التقدم حتى ادركها عمرو بالقسم الاكبـر من الجيش فتمكن من ازاحة المقاومة واستأنف التقدم شمالا فواجه مقاومة شديدة من المواضع الرومية شمال دمنهور بعدة أميال والتـي اشغلتها نجدات رومية جديدة فتمكن من اجبار الروم على الانسحاب بعد معركة ضارية .

معـركة الـكريـون :

ثم استأنف عمرو التقدم شـمالا ، فاصطدمت قطعاتـه بمواضع رومانية جديدة (بالكريون) جنوب الاسكندرية (كانت مدينة

---

(١) كان قائد الحامية بنقيوس هو القائد الروماني الضعيف (دومنتيانوس) الـذي كان بحوزته (تحت يده) سفن كثيرة ، فهرب تاركا سفنه وجيشه .

كبيرة في منتصف المسافة بين دمنهور والاسكندريه على ضفتي النيل) اشغلتها قطعات رومية علاوة على تجمعات كبيرة من سكان مدن (سخا وبلهيب والخَيَس وسلطيس اوسنطيس – وهي قرية كبيرة في منتصف المسافة بين كوم شريك والكريون – وكان يقود مقدمة الجيش العربي عبدالله بن عمرو بن العاص فأصابته جراحات كثيرة وعندما سأله عمرو عن الموقف وعن جراحه اجابه منشدا بيت شعر مشهور :

أقول لها اذا جشأت وجاشت   مكانك تحمدي أو تستريحي

اي اننا نقاتل حتى النهاية فأما النصر أو الاستشهاد . فقال عمرو هو ابني حقا . وحمل الراية (اللواء) وردان مولى عمرو ثم صلى عمرو في الناس صلاة الخوف وهي ركعة وسجدتان ، وازاء مقاومة الروم الشديدة اضطر عمرو الى اجراء استطلاعات مفصلة لمواضع الروم وفي مطلع تموز (يوليو) ٦٤١ قام الجيش العربي بهجوم عام على المواضع الرومية في الكريون محاولا خرق جبهة الجيش الروماني فاستبسل الفريقان في معركة ضارية دامت عشرة أيام أنتهت بابادة الجيش الرومي والقطعات الموالية له .

ولا ريب فان هذه المعركة كانت بالنسبة للروم تشكل الوقفة الاخيرة للدفاع عن الاسكندرية . وبالنسبة للعرب كانت تشكل مفتاح الاسكندرية فان ربحوها اشرفوا على اسوار الاسكندرية وسيطرو على الدلتا المصرية وحاصروا العاصمة .

تحصن الاسكندرية :

وبعد الانتهاء من معركة الكريون دفع عمرو بقطعاته شمالا متقدمة نحو الاسكندرية وأسرع بهجوم شديد على أسوارها فصدته الحامية الرومية بعنف شديد ضاربة القطعات العربية بعاصفة من مقذوفات المنجنيقات والسهام موقعة بالجيش العربي خسائر كبيرة . الامر الذي اضطر عَمْراً الى ايقاف الاشتباكات وكانت بعض قطعاته الامامية قد تمكنت من الدخول الى الاسكندرية عبر احدى الثغرات الا انها طردت بهجوم روماني مقابل شديد وكان القائد البارع من ضمن

تلك الفصائل الأمامية وكاد ان يؤسر او يقتل نتيجة جرأته واندفاعه للأمام مع قطعاته الأمامية .

* * *

احتلال الاسكندرية

كانت الاسكندرية تشكل قاعدة خطيرة للاسطول الرومي في البحر الابيض المتوسط لذلك يصعب بل يستحيل في ذلك الحين على الجيش العربي اقتحامها من ناحية البحر خصوصا وان العرب لم يألفوا البحر ولا يملكون التجهيزات البحرية . وكان الاسطول الرومي يحمي الجهة الساحلية منها كما ان جزءا كبيرا من جانبها البري تحميه البحيرة المريوطية . وليس بالامكان اقتحامها الا من الجهة الجنوبية الشرقية من شقة ضيقة من البر .

واحسب ان عمرا اوقف الهجوم في تموز / ٦٤١ للاسباب التالية :

١ ـ اعطاء فرصة راحة لقطعاته التي اتعبتها المعارك المتتالية .

٢ ـ خشيته من فشل ثان بعد ان استعصت عليه في هجومه الفاشل الاول .

٣ ـ اعادة تنظيم جيشه واعطاء فترة نقاهة للجرحى .

٤ ـ انتظارا لنجدات جديدة .

٥ ـ اجراء استطلاعات مفصلة لمواقع العدو .

٦ ـ تجنب فيضانات النيل التي حان موعدها في الصيف . « يفيض النيل في شهري تموز (يوليو) وآب (اغسطس) من كل عام » .

٧ ـ احتلال الاماكن الاخرى وتدمير المواقع الرومية في دلتا مصر .

٨ ـ الاستفادة من الامكانيات المتيسرة والمواد المحلية لتهيئة الوسائط الحربية لتدمير الحصون والاسوار وتحضير تجهيزات اقتحام اسوار الاسكندرية .

٩ ـ وضع خطة حكيمة لمعركة مدبرة لاحتلال المدينة .

وازاء هذه المناقشة قرر القائد احتلال موضع يقع جنوب شرقي الاسكندرية خارج مدى المنجنيق (المدفعية القديمة) لمنع الحامية من الاتصال بدلتا النيل .

اقتحــام الاســكندرية :

وبعد مضي اربعة اشهر على معركة الكريون وثلاثة اشهر على حصار الاسكندرية صمم عمرو بعد ان اكمل كافة الاستعدادات على اقتحام المدينة بخطة تتألف خطوطها العامة مما يلي :

اولا ـ القيام بهجوم فجري برتلين اساسيين :

١ ـ رتل بري يطبق عليها برا ومن النقاط الواهنة .

٢ ـ رتل يندفع سباحة نحو السفن الراسية في الميناء .

ثانيا ـ الاقتحام بكافة القطعات المتيسرة .

ثالثا ـ القيام بقصف شديد من المنجنيقات العربية الثقيلة .

رابعا ـ هجوم الرتل البري يسبق في التوقيت لجلب انتباه الحامية الرومية الى الاسوار من ناحية البر .

وفي فجر الثامن من تشرين الثاني (نوفمبر) ٦٤١م قامت المنجنيقات العربية بقصف شديد وعنيف مؤثر على الحامية الرومية واسوارها بينما اندفعت الكتائب العربية نحو النقاط الواهنة في الاسوار وبكل جراءة وحماس تمكنت فصائل من تسلق الاسوار فدارت معركة رهيبة فوق الاسوار وخلفها داخل المدينة حيث حققت القطعات العربية نجاحات أولية في اقتحام السور استغلها عمرو فدفع برتل السباحين بحرا نحو السفن الراسية في الميناء لتدميرها والدخول الى المدينة من ناحية البحر وكان لذلك اثر هائل في تدمير معنويات الروم فطلب المقوقس (وكان قد اعيد من المنفى الى الاسكندرية بعد وفاة هرقل) الصلح . فوافق عمرو على ذلك على ان تجلو الحامية بعد احد عشر شهرا وان يدفع السكان الجزية . وقد تم ذلك بالفعل في ١٧ أيلول من عام ٦٤٢ ميلادية .

فكتب عمرو بذلك رسالة الى القائد العام للقوات المسلحة الخليفة عمر بن الخطاب حملها اليه معاوية بن حديج هي :

« اما بعد فاني فتحت مدينة لا اصف ما فيها غير اني اصبت فيها اربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام واربعين الف يهودي عليهم الجزية واربعمائة ملهى للملوك » .

بعد هذا النصر الكبير سحب عمرو قطعاته الرئيسية الى الفسطاط تاركا في الاسكندرية حامية خاصة بها بقيادة عبدالله بن حذافة بن قيس .

* * *

شروط استسلام الاسكندرية

وكانت شروط استسلام الاسكندرية كما يلي :

اولا ــ ان يدفع الجزية كل من دخل في العقد .

ثانيا ــ ان يبقى العرب في مواضعهم مدة الهدنة وان يكف الروم عن القتال .

ثالثا ــ ان ترحل حامية الاسكندرية في البحر .

رابعا ــ ان يبعث الروم رهائن ١٥٠ جنديا و ٥٠ مدنيا ضمانا لانفاذ العقد .

خامسا ــ ان تعقد هدنة لمدة ١١ شهرا تنتهي في ايلول (سبتمبر) ٦٤٢ .

سادسا ــ ان لا يعود جيش من الروم الى مصر .

سابعا ــ ان يباح لليهود الاقامة في الاسكندرية .

هجـوم الروم المقـابل :

آ ـ بعد ان شعر الروم بانسحاب الجيش وبقاء حامية صغيرة في الاسكندرية صوروا لقسطنطين حفيد هرقل امبراطور الروم سهولة استرجاع الاسكندرية فاعد هذا جيشا بقيادة قائده مانوئل* ابحر في ثلثمائة مركب مشحونة بالرجال للانزال في الاسكندرية واسترجاعها وقد نجحت العملية فعلا وتمكنت القطعات الرومية من اخراج الحامية العربية من المدينة موقعة بها خسائر كبيرة فحلف عمرو قائلا (**لئن أظهره الله عليهم ليهدمن سورها حتى تكون مثل بيت الزانيـة تؤتى من كل مكان)** .

ب ـ وبعد تقدير صائب للموقف قرر عمرو عدم الدخـول في معركة مع الروم قرب الاسكندرية بل سمح لهم بالتقدم باتجاه الجنوب حتى نيكيو (نيقيوس) حيث قرر الدخول في المعركة . فاشـتبك الطرفان بمعركة حامية تمكن فيها الروم من طرد الخيالة العربية التي يقودها (شريك بن سمي) فسحبت الى الخلف وصمد عمرو وقتلت تحته فرسه فاستبدلها باخرى ثم قام بهجوم شديد على الروم تمكن فيه من ابادة معظمهم فانهزم الروم باتجاه الاسكندرية .

ج ـ فما كان من عمرو بن العاص الا ان زحف خلفهم بخمسة عشر الف مقاتل وبعدد قتال ضخمة من أجهزة تدمير الاسوار فالتقى ببقايا الروم جنوب الاسكندرية في التحام دام ابيدت على أثره معظم القطعات الرومية وانهزم الباقي منها مذعوراً الى الاسكندرية وجرى التحصن خلف الاسوار ثانية وهنا باشر عمرو بقصف شديد لتدمير الاسـوار واقتحام المدينة عنوة وبشدة فتم له ذلك وتمكن من تدمير الجيش الرومي نهائيا وكان من ضمن القتلى القائد الرومي مانويل . ثم أصدر عمرو قراره فور انتهاء المعركة بهدم أسوار الاسكندرية لكي لا تعود الى تمرد او انزال رومي . وروى البلاذري في (فتوح البـلدان) ان الانزال الرومي وقع عام (٢٥ / هجرية او ٢٣ / هجرية) اي مايقابل

(*) جاء ذكره في بعض المصادر باسم (منويل) ويعرف بالخصي وكان هجومه سنة ٢٥هـ وقد توفق العرب فاسترجعوا الاسكندرية وقتل مانوئل :

عام/٦٤٥م او ٦٤٣ ميلادية. وانا اميل الى التاريخ الاول ٦٤٥ اذ يبدو ان الروم توخوا فيه الاستفادة من انشغال عمرو بفتح برقة وطرابلس .

د ـ وعند فتح الاسكندرية وصفها عمرو بن العاص في كتابه الى الخليفة عمر بن الخطاب ، وقد تقدم ذكره .

هـ ـ وكان ممن أرسلهم عمرو بن العاص من القواد لتحرير الاجزاء الاخرى من وادي النيل هم (عبدالله بن حذافة السهمي) لاخضاع المناطق المجاورة لعين شمس وقراها ووجه (خارجة بن حذافة العدوي) الى الفيوم والاشمونين واخميم والبشرودات وقرى الصعيد . و (عمير بن وهب الجمحي) الى تنيس ودمياط وتونة ودميره وشطا ودقهليه وبنا وبوصير ، و (عقبة بن عامر الجهني) ويقال وردان مولاه ، الى سائر قرى اسفل مصر ، فتمت له السيطرة على مصر جميعها .

* * *

ابطال شاركوا فى تحرير مصر

وكان ممن شارك في تحرير مصر بقيـــادة عمرو بن العـــاص من ابطال العرب وقادتهم :

سعد بن أبي وقاص بطل القادسية وقائـــد الجيش العربي الذي فتح العراق . وقد شارك في فتح مصر في الفترة التي عزل فيها عن ولاية العراق .

وعبد الرحمن وربيعـة ولــدي شرحبيل بن حسنة قائد الجيش العربي في الاردن .

ونافع بن عبد قيس الفهري وهو والد البطل الشهير عقبة بن نافع الفهري .

وعقبة بن نافع الفهري

وقيس بن أبي العاص السهمي

والمقداد بن الاسود الكندي

والزبير بن العوام

وعبادة بن الصامت

ومسلمة بن مخلد

وهم الاربعة الذين بعثهم الخليفة مددا مع النجدات التي وصلـت قبل معركة عين شـــمس وكان الواحد منهم يعد بألف رجل .

وعبدالله بن عمرو بن العاص

وخارجة بن حذافة العدوي وهو مدير الشـــرطة الذي كان يصلي بالناس عندمـــا حـــاول الخارجي قتل عمـرو بن العاص فقتل خارجة خطأ وهو الـــذي سيطر على الفيوم والصعيد .

وعبدالله بن سعد بن أبي سرح	اخ الخليفة عثمان بالرضاعة والذي عينه واليا على مصر بعد عزل عمرو بن العاص .
ووردان	مولى عمرو بن العاص وسكرتيره الخاص .
وشريك بن سمي	الفارس المغوار وقائد كتائب الخيالة في معظم المعارك .
ومحمد بن مسلمة الانصاري	وهو الذي تسلق أسوار حصن بابليون مع الزبير بن العوام وهو الذي بعثه الخليفة عمر بعدئذ لمقاسمة ومحاسبة عمرو بن العاص .
ومالك بن ابي سلسلة السلامي	وهو أحد الذين تسلقوا السور مع الزبير بن العوام .
وخالد بن يزيد الملقب بابي ايوب الانصاري	الصحابي المشهور والمدفون في اسطنبول .
وجندب بن جنادة الملقب بابي ذر الغفاري	الصحابي الاشتراكي المشهور .
وعقبة بن عامر الجهني ويكني ابا حماد	وهو المراسل الذي بعثه الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص يحمل اليه الرسالة التي يأمره فيها بالعودة ان لم يدخل مصر .

وعبدالله بن الحارث بن جـــزء الزبيدي
وكعب بن ضنه العبسي
ومعاوية بن حديج الكندي وكان رسول عمرو بن العاص الى الخليفة عمر يبشـــره بفتـــح الاسكندرية .

ابو رمثة البلوي

وأبو رافع ـ مولى رسول الله
وجناده بن أبي أمية الازدي
وسفيان بن وهب الخولاني
وعمر بن وهب الجمحي الذي احتل دمياط والدقهلية
وعبدالله بن حذافة السهمي وهو الذي سيطر على المناطـــق المجاورة لعين شمس وقراها

وبرح بن حسكل
وشـــرحبيل بن حجيـــة المـــرادي وهو الذي تمكن من نصب ســـلم آخر على سور حصن بابليـــون وصعد الســـور . وكان الزبير بن العوام قد صعد على سلم آخر .

★ ★ ★

مسجد عمرو بن العاص

ولابد لي ان اشير الى الاثر التاريخي من بقايا ذكريات فتح مصر الا وهو مسجد عمرو بن العاص في مصر العتيقة (الفسطاط) والموجود الآن في القاهرة اذ يعتبر اول مسجد بني في شمال افريقيا وثاني مسجد بناه الفاتحون بعد مسجد الكوفة في العراق الذي بناه القائد سعد بن ابي وقاص عام ٦٣٨ بعد معركة القادسية .

وقد بنى عمرو بن العاص هذا المسجد في نفس المكان الذي كانت فيه رايته (لواؤه) وفي نفس مكان الخيمة (الفسطاط) التي تركت اثناء الزحف الى الاسكندرية عطفا على حمامة (يمامة) قد فرّخت وابتنت لها عشا فيها .

وكان بناء المسجد في نهاية عام ٦٤١م ولما كان المسجد قد بني في مكان الراية فقد سمي (مسجد اهل الراية) وكان المسجد على شاطيء النيل تحيط به البساتين .

وكانت مساحته عند بنائه ٥٠ × ٣٠ ذراعا وسقفه مطأطأ ولم يجعل له صحن .

وقد زاد عليه مسلمة بن مخلد عام ٦٦٣ فمده الى جهة الشمال وفرشه بالحصر بدل الحصباء وبنى له مآذن ثم اعيد بناؤه كله مجددا عام ٧١١ بناء على أمر تلقاه الوالي (قرّة بن شريك) من الخليفة الوليد بن عبد الملك .

وقد كان لعمرو بن العاص داران احدهما امام باب المسجد ويفصل بينهما الشارع والثانية ملاصقة للمسجد وقد دفن فيهما عبدالله بن عمرو بن العاص وهي الآن داخل المسجد اذ يبدو ان توسيع المسجد قد تضمن ادخال الدار فيه فأصبح مرقد عبدالله بن عمرو داخل المسجد كما هو الآن .

★ ★ ★

المقدسي يصف الفسطاط :

وممن وصف الفسطاط الرحالة المقدسي البشاري في كتابه « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » .

وعندما زار المقدسي الفسطاط وصفها فقال : ـ

« الفسطاط هو مصر في كل قول لانه قد جمع الدواوين . وحوى امير المؤمنين ، وفصل بين المغرب وديار العرب واتسع بقعته وكثر ناسه وتنضر اقليمه واشتهر اسمه وجل قدره . فهو مصر مصر وناسخ بغداد ومفخر الاسلام ومتجر الانام ، وأجل من مدينة السلام . خزانة المغرب ومطرح المشرق وعامر الموسم ، ليس في الامصار آهل منه . كثير الاجلة والمشايخ عجيب المتاجر والخصائص حسن الاسواق والمعايش . الى حماماته المنتهى ولقياسيره (١) لباقة وبهاء ، ليس في الاسلام اكبر مجالس من جامعه ، ولا أحسن تجملا من اهله ، ولا اكثر مراكب من ساحله . آهل من نيسابور وأجل من البصرة وأكبر من دمشق . به أطعمة لطيفة ، وادامات نظيفة ، وحلاوات رخيصة ، كثير الموز والرطب غزير البقول والرطب ، خفيف الماء ، صحيح الهواء ، معدن العلماء ، طيب الشتاء ، أهله أهل سلامة وعافية ، ومعروف كثير وصدقة ، نغمتهم بالقرآن حسنة ، ورغبتهم في الخير بينة ، وحسن عباداتهم في الآفاق معروفة .... الخ) .

وذكر المقدسي في مكان آخر من كتابه، جامع عمرو والاسواق التي تحيط به فقال :

(وابطيت يوما عن السعي الى الجمعة فالفيت الصفوف في الاسواق على اكثر من الف ذراع من الجامع ، ورايت القياسير والمساجد والدكاكين حوله مملوءة من كل جانب من المصلين . وهذا الجامع يسمى السفلاني من عمل عمرو بن العاص وفيه منبره حسن البناء ، حيطانه شيء من الفسيفس(٢) على اعمدة رخام اكبر

---

(١) القياسير جمع قيسارية او قيصرية وهي السوق التجارية الواسعة في المدينة.

(٢) الفسيفس : هو المعروف اليوم بالفسيفساء .

من جامع دمشق ، والازدحام فيه اكثر من الجوامع الستة ، وقد التفت عليه الاسواق الا ان بينها وبينه من نحو القبلة دار الشط وخزائن وميضاة . وهو اعمر موضع بمصر وزقاق القناديل عن يساره ، وما يدريك ما زقاق القناديل .... الخ) .

* * *

وصف ناصر خسرو :

وصف ناصري خسرو في كتابه (سفرنامه) هذا المسجد فقال :

« وفي وسط سوق مصر جامع يسمى (باب الجوامع) ، شيده عمرو بن العاص ، أيام امارته على مصر من قبل عمر بن الخطاب . وهذا المسجد قائم على اربعمائة عمود من الرخام . والجدار الذي عليه المحراب مغطى كله بألواح الرخام الابيض التي كتب القرآن عليها بخط جميل . ويحيط بالمسجد من جهاته الاربع ، الاسواق ، وعليها تفتح ابوابه . ويقيم بهذا المسجد المدرسون والمقرئون . وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة ، ولا يقل من فيه ، في أي وقت ، عن خمسة آلاف ، من طلاب العلم والغرباء والكتاب الذين يحررون الصكوك والعقود وغيرها .

ويوقدون في ليالي المواسم اكثر من سبعمائة قنديل . ويقال ان وزن الثريا خمسة وعشرون قنطارا فضة ، كل قنطار مائة رطل وكل رطل اربعة واربعون ومائة درهم . ويقال انه حين تم صنعها لم يتسع لها باب من ابواب المسجد لكبرها . فخلعوا بابا وادخلوها منه ثم ردوا الباب مكانه . ويفرش هذا المسجد بعشر طبقات من الحصير الجميل الملون بعضها فوق بعض ، ويضاء كل ليلة بأكثر من مائة قنديل .

وعلى الجانب الشمالي للمسجد سوق يسمى (سوق القناديل) لا يعرف سوق مثله في اي بلد ، وفيه كل ما في العالم من طرائف . ورأيت هناك الأدوات التي تصنع من الذبل كالأوعية

والامشاط ومقابض السكاكين وغيرها . ورايت كذلك معلمين مهرة ينحتون بلورا غاية في الجمال ، وهم يحضرونه من المغرب ... الخ) .

وصف عبداللطيف البغدادي :

وجاء بعدهما عبد اللطيف البغدادي فذكر الفسطاط والجامع في كتابه (الافادة والاعتبار) . وكانت حال الجامع والاسواق التي تحيط به قد تحولت الى حالة لا تحسد عليها فجاء في وصفه :

(الى ان انتهيت الى المسجد الجامع فعاينت من ضيق الاسواق التي حوله ما ذكرت ضده في جامع اشبيلية وجامع مراكش . ثم دخلت اليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل في حصره التي تدور مع بعض حيطانه وتنبسط فيه . وابصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا بأوطئة اقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق . والبياعون يبيعون فيه اصناف المسكرات* والكعك وما سوى ذلك . والناس يأكلون في عدة امكنة منه غير محتشمين لجرى العادة عندهم بذلك . وعدة صبيان بأواني ماء يطوفون على كل من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منه رزقا ، وفضلات مأكلهم مطروحة في صحن الجامع . وفي زواياه العنكبوت قد عظم نسجه في السقف والأركان والحيطان . والصبيان يلعبون في صحنه ، وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة . الا ان مع ذلك على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس ما لا نجده في جامع اشبيلية مع زخرفه ...

واستحسنت ما ابصرته من خلق المتصدرين لاقراء القرآن والفقه والنحو في عدة اماكن ، وسألت عن موارد ارزاقهم فاخبرت انها من فروض الزكاة وما اشبه ذلك . ثم اخبرت ان اقتضاء ذلك يصعب الا بالجاه والتعب .

(*) اى اصناف الحلوى المصنوعة من السكر .

ثم انفصلنا من هناك الى ساحل النيل فرايت ساحلا كدر التربة غير نظيف ولا متسع الساحة ولا مستقيم الاستطالة ... الا انه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب واصناف الارزاق التي تصل من جميع اقطار النيل . ولئن قلت اني لم ابصر على نهر ما ابصرته على ذلك الساحل فاني أقول حقا .

ـ والحال ان اهل الفسطاط في نهاية من اللطافة واللين في الكلام ... ورعاية قدر الصحبة وكثرة الممازحة والألفة ، مما يطول ذكره ... الخ) .

* * *

الفصل الخامس

تحرير طرابلس الغرب

(ليبيا)



عمرو بن العاص يتقدم نحو طرابلس الغرب

الفصل الخامس

تحرير طرابلس الغرب

- ١ -

ليبيا تاريخيا

ليبيا اسم ينحدر من الجغرافية القديمة جدا ، وكانت تعرف بأسم (لوبيا) ، ويطلق هذا الاسم على الارض الكائنة غرب مصر أو بالحقيقة على المنطقة شرق برقة الحالية من ليبيا الحديثة ، والنسبة (لوبي) . وكان اللوبيون كما يحدثنا تاريخ مصر القديمة مجاورين لقدماء المصريين ولم يتجاوز نفوذهم برقه وكانوا في صراع مستمر مع فراعنة مصر .

ويذهب أكثر المؤرخين الى ان الأرض التي تسمى لوبيا هي الأرض الواقعة بين حدود مطروح الغربية والحدود الشرقية لبرقة . وكانت تعتبر من الأراضي المصرية . وقد ذكر بعضهم مثل المقريزي أقاليم مصر فذكر مريوط والاسكندرية ولوبيا ومراقية وقال وان مصر تحدها من الجهة الغربية برقة .

وروى القضاعي ان (مصر من العريش الى آخر لوبيا ومراقية وفي آخر أراضي مراقيه تلقى أرض انطابلس وهي برقة) .

وقد هجر اسم لوبيا منذ العهد اليوناني وبعد أن تم للجيش العربي الاسلامي تحرير مصر وشمال افريقيا من نفوذ الرومان لم يذكروا أو يستعملوا مطلقا كلمة لوبيا بل استعملوا كلمة اطرابلس أو برقة ، وكان اول من كتب بذلك واستعملها القائد الفاتح عمرو بن العاص السهمي محرر وادي النيل وليبيا الحالية كما تشير الى ذلك رسالته الى الخليفة عمر عند فتح اطرابلس . اذ استخدم الألف قبل كلمة طرابلس .

وتشير دائرة المعارف الايطالية الى ان اسم ليبيا قديم ينحدر من الجغرافية القديمة وأول من استعمله (ف. منتولي)

الجغرافي الايطالي في كتابه جغرافية ليبيا المطبوع عام / ١٩٠٣ في تورينو وهو يعني بذلك ولاية طرابلس وبرقة التركية في ذلك الحين .

وقد استعملت ايطاليا هذا الأسم ليبيا رسميا بعد ان سيطرت على ولاية طرابلس وقد درج استعمال هذا الأسم منذ ذلك الحين (٢٤ / حزيران (يونية) عام / ١٩٢٩) وشمل طرابلس وبرقة وفزان والواحات التابعة لها .

وطبيعي كان الفرض الايطالي يهدف الى غايات استعمارية المقصود منها طمس معالم الاسماء العربية . وقد اصبحت الكلمة أمرا واقعيا اعترفت به الدولة الليبية الحديثة . وكم يعجبني لو تسمي الجمهورية الطرابلسية بدلا من الجمهورية الليبية لأن العرب استعملوا هذا الأسم الطرابلسي ودخلت في التاريخ الاسلامي والعربي والادبيات العربية بشكل واسع بهذا الشكل وتسميتها بطرابلس يربط العمل الخالد والمجد الحديث بماضينا وتراثنا التليد ويبعث على العزة والترابط والوحدة .

- ٢ -

سكان ليبيا القدماء

لقد كان سكان ليبيا وشمال أفريقيا من العرب منذ القديم سواء منهم البربر أو الفينيقيين او العرب بعد الفتح العربي الاسلامي .

وكلمة بربر اطلقت في ادوار وعهود أربعة في التاريخ . ففي عهد (هومير) اطلقت على القبائل المعقدة اللغة واللهجة اينما وحيثما وجدت ، وفي عهد (هيرودوت) كانت تدل على الشعوب الغريبة عن اليونانيين او عن حضارتهم ومدنيتهم واسلوبهم في الحياة . وفي عهد (بلتوس) الروماني اطلقت على كل الشعوب عدا سكان روما .

واطلقها عرب الجزيرة العربية على السكان العرب في الساحل الافريقي من الاسكندرية الى المحيط الاطلسي ومن البحر الابيض المتوسط الى حدود السودان . والعرب يطلقون كلمة بربرة على الاصوات المتجمعة غير المفهومة .

وقد ذكر ابن خلدون ان بين نسابة العرب خلافا فيهم (اي في البربر) والمشهور انهم وخصوصا صنهاجه وكتابة انهم من اليمنية ، وان (افريقش بن صيفي اليماني) لما غزا افريقية انزلهم بها .

وجاء في جمهرة الانساب لابن حزم (ادعت طوائف من البربر انهم من اليمن ومن حمير وبعضهم ينسب الى (بر بن قيس عيلان) ... الخ .

وذكر ابن قتيبة انهم من ولد جالوت من ولد (قيس عيلان من ولد معد) المعاصر لنبوخودراصر (بختنصر) الملك البابلي العراقي .
ويقول نسابة البزبر في عهد ابن خلدون ان لواته من حمير وهوارة من كنده وزناته من التبابعة وغمارة وزوارة ومكلاته من حمير .

ومن سكان ليبيا القدماء ايضا الفينيقيون ، وهم من العرب القدماء اشتهروا بالتجارة والحركات والاسفار البحرية . وكانت مواطنهم الاصلية بعد نزوحهم من بطن الجزيرة العربية سواحل الشام ومن اشهر مدنهم القديمة حينئذ صور وصيدا وطرابلس وبيروت وقد اتصلوا بالشمال الافريقي منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد وانشأوا على طول سواحل البحر الابيض المتوسط الاسيوية والافريقية مراكز تجارية وصناعية هامة .

وبعد ان مات الملك الفينيقي العربي (معطجين) ترك ولدا اسمه (بيجماليون) وبنتا اسمها (عليصار) . فتولى الحكم بعده (بيجماليون) الذي قتل (طيخار بعل) زوج اخته فثارت عليه اخته لعمله هذا وكانت تسمى أيضا (ديدو) فتغلب عليها (بيجماليون) فهربت مع جماعة من قومها بعد فشل ثورتها الى شمال افريقيا وبنت مدينة قرطاجنة عام (٨٤٠) قبل الميلاد .

وبعد ان استقر ملك العرب الفينيقيين في شمال افريقيا اخذوا بتوسيع رقعة حكمهم حتى انهم في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد سيطروا على كافة الشمال الافريقي من برقة حتى المحيط الاطلسي .
ويقال ان الملك العربي الفينيقي (معطجين) هو المذكور في القرآن الكريم : **(وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا) .**

وكانت طرابلس تابعة دائما لقرطاجنة سواء اثناء حكم العرب الفينيقيين أو من تبعهم في السيطرة على شمال افريقيا من الروم والوندال (من الاصل الألماني) . أو الروم تارة اخرى حتى فتحها العرب سنة ٦٤٣ ميلادية المصادف سنة ٢٢ هجرية على يد القائد العربي عمرو بن العاص .

- ٣ -

مدن ليبيا القديمة

آ - (طوشيرا) أو (طوكره) :

الأسم الحالي الصحيح (توكره) أو (توكرا) وهي بليدة أو مركز مديرية ناحية الى الشرق من مدينة بنغازي بنحو ٦٧ كم ، وعلى نحو (٣٥ كم) عن المرج ، وعندها تقع بقايا المدينة اليونانية القديمة ، التي وردت بأسم توكيرا والتأريخ المأثور لتأسيسها من جانب الاغريق من أهل (قورينا) التي سيأتي ذكرها ، أواخر القرن السادس ق.م (في حدود ٥١٠ ق.م) ، أي بعد مضي ما يقرب من ١٢٠ عاما على تأسيس أول مدينة اغريقية في اقليم برقة ، وهي قورينا (شحات) ، حيث قامت في حدود (٦٣١) ق.م .

وفي عهد الملوك البطالسة (البطالمة) اسرة بطليموس التي خلفت الاسكندر الاكبر في حكم مصر (٣٢٣-٣٠ ق.م) اعيدت تسمية المدينة لفترة قصيرة بأسم (ارسينوى) ، نسبة الى احدى الاميرات البطلميات . ودخلت توكرا ضمن (المدن الخمس) (بنتابوليس) الوارد ذكرها في المصادر العربية بهيئة (انطابلس) ، وقد ظهرت هذه التسمية الادارية في عام ٢٤٦/٧ ق.م في عهد الملك بطليموس الثالث ، وشملت المدن الخمسة الآتية :

١ - قورينا (شحات) .

٢ - ابولونيا (سوسه) .

٣ - بطوليماس (طلميثة) أو (طلميثة) .

٤ ـ توكرا (توكرة التي نحن بصددها) .

٥ ـ برنيقي او برنيق (بنفازي) .

وورد ذكر (توكره) في أخبار الفتح العربي الأول (٦٤٢/٣ م) اذ احتمى بحصنها الوالي البيزنطي فترة ما .

ب ـ قورينا أو (قوريناء) قورين ـ قورنة أو (شحات) :

الأسم الحالي للمدينة القديمة التي سنذكر اسمها الصحيح هو (شحات) ، وهي مركز متصرفية ، تبعد بنحو (١٨ كم) شمالي البيضاء ، وعن بنغازي الى الشمال الشرقي على البحر ، بنحو (٢٢٥ كم) ، وعدد نفوسها نحو (٤١٤٩) حسب تعداد (١٩٥٤) وتقع عند شحات اشهر وأروع الآثار الباقية في جميع الشمال الافريقي .

وتمثل هذه البقايا المدينة اليونانية العريقة (قورينا) أو (قوريناء) ، التي كانت أولى المدن التي شيدها المستوطنون الاغريق المهاجرون من جزيرة (تيرا) (سنتاريون الآن) . والتأريخ المأثور لتأسيس المدينة ، كما ذكرنا ، في حدود (٦٣١ ق.م) ، وكانوا بقيادة شخص صار أول ملك على (قورينا) وعرف بأسم (باتوس) ، واسس سلالة ملوك حكم منهم ثمانية ملوك (٦٣١ ـ ٤٤٠) ق.م وعرفوا بأحد اسمين (باتوس) أو (اركيسيلوس) .

وتسمى (قورينا) الان بأسماء مغلوطة مأخوذة من اللغات الاوربية الحديثة مثل الانجليزية (سايرين) أو الايطالية (شيرين) ، على ان الصيغة (قوريناء) أو (قورينا) أصح الصيغ المطابقة تقريبا الى اسمها القديم (كورا) أو (كوارانا) أو (كوريني) وذكرت الصيغة (قورينا) أو (قوريناء) في كثير من المصادر العربية مثل كتاب (أخبار الحكماء) للقفطي في معرض كلامه على المدرسة الفلسفية الشهيرة التي عرفت بأسم المدرسة (القورينائية) لمؤسسها الفيلسوف اليوناني الشهير (ارسطبس) (٤٠٠ ـ ٣٦٥ ق . م) . وتنسب المآثر التأريخية والاسطورية اسم المدينة الى الحورية (كورا) أو (كورانا) التي

طاردها الاله اليوناني الشهير (ابولو) الى عين الماء الشهيرة في شحات الآن (وتعرف باسم نبع ابولو) ، وتزوج بها هنا .

ولا مجال للاسهاب في تاريخ (قورينا) وشهرتها العالمية ومن عاش فيها أو ولد فيها من العديد من العلماء والفلاسفة والشعراء والفنانين ، وكنا ذكرنا في كلامنا على (توكره) ان (قورينا) كانت على راس المدن الخمس (البنتابوليس) (انطابولس) .

ج ـ بنغازي و (برنيق) (برنيقى) :

وهي العاصمة الثانية لليبيا وأكبر مدينة فيها من بعد طرابلس حيث يبلغ تعداد سكانها نحو (٦٩٫٧١٨) تعداد عام / ١٩٥٤ . واسم بنغازي حديث المنشأ ، اذ ظهر في حدود عام / ١٤٥٠ م ، حيث أول مستوطن سمي احد الاولياء المسمى (سيدي غازي) ولذلك قيل في تفسير المدينة انها (بنى غازي) (أي بناء أو تشييد غازي بحسب اللهجة الليبية) أو انها من (ابن غازي) وقبره موجود في المنطقة في مقبرة (سيدى خريبش) ، واصل مستوطنيها جماعة من التجار من (مصراتا) وطرابلس ، وقد ورد اسم المدينة لأول مرة (في عام ١٥٧٩ م) في خارطة الجغرافي المغربي (علي بن احمد الشرفي الصفاقصي) . وبعد الفتح العثماني لطرابلس في (١٥٥١ م) دخلت مع اقليم برقة تحت الحكم العثماني . وقد قامت بنغازي على انقاض مدينة قديمة اسسها الملوك البطالمة (البطالسة) في عام ٢٤٦/٧ ق.م ، بالقرب من المدينة اليونانية القديمة (يوسبريدس) أو (يوهسبريدس) التي نشأت في حدود (٥١٥ ق.م) . اما المدينة الجديدة (برنيقى) أو (برنيق) فسميت نسبة الى اسم زوجة الملك البطلمي (بطليموس الثالث) . وفي هذا العهد ، كما ذكرنا ظهرت التسمية الادارية الجديدة : المدن الخمس (بنتابوليس) (راجع الكلام على توكره) ولا يعلم كم استمرت برنيق (وبهذه الصيغة وردت في المصادر العربية) في الوجود من بعد الفتح العربي (٦٤٣م) ، ومما يذكر بهذا الصدد ان البكرى (١٠٢٨ ـ ١٠٩٤ م) لم يذكر برنيق ، اما الادريسي (١١٠٠

ـ ١١٦٦ م) فانه يذكر (برنيق) بصفتها منطقة جغرافية ما بين برقة واجدابية وليس بصفتها مدينة .

د ـ ابولونيا (سوسا ، سوسة) :

اسم المدينة الحديث (سوسة) او (سوسا) ، مركز مديرية ناحية ، وظهرت هذه التسمية في آخر الادوار الرومانية (العهد البيزنطي ، القرن السادس الميلادي) وتبعد سوسه عن شحات (قورينا) بنحو (١٨ كم) شمالا ، وكانت سوسه في الاصل ميناء مدينة قورينا (شحات) ودعيت بأسم (ابولونيا) نسبة الى الاله (ابولو) حامي مدينة قورينا التي قلنا انها سميت باسم حوريته . واشتهر هذا الميناء في عهود التاريخ المختلفة وصار كما ذكرنا ضمن المدن الخمس (بنتابوليس) . والجدير بالذكر بصدد اسم (ابولونيا) ان هناك جملة مدن عرفت بهذا الاسم : في مقدونية ، وعلى البحر الاسود ، وفي فلسطين وغيرها ، وواحدة منها في العراق (في منطقة ديالى) .

هـ ـ بارش او المرج :

الاسم (بارش) تحريف من الاسم الصحيح (برقة) ، وهو اسم المدينة الافريقية القديمة التي تأسست في حدود (٥٦٠ ق.م) على يد جماعة من أهل (قورينا) ، وعلى رأسهم أخو الملك (اركيسيلوس الثالث) .

وكان لبرقة ميناء بحري لا يعلم اسمه ، ولكن في العهد البطلمي (٢٤٦ ق . م) ، جدد واعيدت تسميته بأسم (بطوليماس) ، نسبة الى الملك بطليموس الثالث ، واشتهرت هذه المدينة حتى فاقت المدينة التابعة لها اي برقة ودخلت في (المدن الخمسة) بنتابوليس . وظل الميناء مزدهرا عامرا الى ما بعد الفتح العربي ، حيث ورد ذكره كثيرا في كتب البلدان والتاريخ بهيئة طلميثة (طلميثة) .

وطلميثة الآن بليدة تبعد عن المرج بنحو (٢٩ كم) الى

الشمال . اما المرج فهو مستوطن حديث النشأة (١٨٤٢ م) ، وهو الآن مركز متصرفية عدد سكانه نحو (١٠ر٠٠٠) .

اما المدينة الاصلية (برقة) فقد ظلت مأهولة مزدهرة ، وكانت ابرز مدينة ابان الفتح العربي (٦٤٢/٣م)، وقد تم فتحها صلحا بعد دفع جزية سنوية ، وزاد ازدهار برقة من بعد الفتح ، بحيث انها اتخذت قاعدة لعمليات الفتوح العربية لشمالي افريقية على ما هو معروف . واطلق اسم مدينة برقة على الاجزاء الشرقية من ليبيا (المحافظات الشرقية الآن) ، وكان يعرف بأسم (سيرانياكا) المشتق من اسم اولى المدن اليونانية (قورينا) ، كما ذكرنا .

و ـ زويلة :

مدينة زويلة (وزان سفينة وقد تلفظ زويلة) على بعد (١٥٠كم) شرقي مدينة مرزوق (مرزق) ، وهي الآن مركز مديرية ناحية عدد سكانها نحو (١ر٥٠٠) نفس ، وتعد زويلة من اقدم المدن في الجنوب، ولعلها تلي مدينة جرمة في القدم ، وكانت اولى عواصم اقليم (فزان) ، على ان تأريخها ما قبل الفتح الاسلامي لاقليم (فزان) عام (٦٦٦ م) غامض ، ولكنها اشتهرت من بعد ذلك الفتح وذكرت في اخباره . وازدهرت بوجه خاص في عهد ملوكها من اسرة بني الخطاب (من القرن العاشر الى اواسط القرن الثاني عشر) حتى عرفت باسم زويلة بني الخطاب .

وتلت ذلك فترة فتح قراقوش (١١٧٤م) في الحملة التي ارسلها ، صلاح الدين من مصر (بقيادة مولاه قراقوش الأرمني ، وهناك محلة مشهورة في طرابلس تعرف بأسمه هي (قرقارش) واصبحت زويلة وجميع اقليم فزان في القرن الثالث عشر امبراطورية (بورنو) من آل كانم الذين نقلوا العاصمة الى (تراغن) الحالية وحكمتها في القرن الرابع عشر اسرة الخرمان ، وآل حكمها في القرن السادس عشر الى اسرة اولاد محمد (نسبة الى محمد ، شريف مراكش) ، ولكن هذه الاسرة الحاكمة اتخذت في حكمها لفزان عاصمة

جديدة هي (مرزوق) المعروفة الآن ، وقد حاربت العثمانيين ، وكان آخر سلاطينها قد قتل في العام (١٨١١) ، من جانب (المكني) قائد يوسف باشا القرهمانلي .

ز ـ فـزان :

يكوّن اقليم فزان الآن محافظتي الجنوب ، (سبها واوباري) وعدد سكانه نحو (٧٥ر٠٠٠) والجزء الاكبر من هذا الاقليم الصحراء الليبية الغربية وتقطن فيه قبائل الطوارق (الملثمون) المشهورة الممتدة في الصحراء الافريقية ابتداء من فزان ، واشتهر اقليم فزان بأنه موطن (الجرمنتيين) القدماء (ولعلهم من البربر القدماء ويمتون بصلة الى الطوارق) حيث عاشوا فيه منذ الالف الثاني ق.م ، واشتهرت عاصمتهم (جرمة) الواقعة الان في وادي الآجال في اخبار الفتح العربي بقيادة عقبة بن نافع حيث جاء اليه ملك جرمة ذليلا ماشيا مسافة نحو فرسخين (١٢ ميلا) واتماما للفائدة نعدد مراكز الحكم أو العواصم في اقليم فزان بحسب تسلسلها التاريخي : (١) جرمة (٢) زويلة (٣) تراغن (٤) مرزوق (مرزق) (٥) سبها .

ح ـ ودّان :

وتأتي ودّان قبل جرمة السالفة الذكر في أخبار الفتح العربي ، حيث قصدها القائد عقبة في حملة تأريخية وفتحها واخذ الجزية منها ، وفيها اخبره اهلها عن جرمة .

ط ـ غدامس :

اسمها الحديث (غدامس) و (غذامس) ، على بعد نحو (٥٠٠ كم) جنوب غربي طرابلس ، وهي الآن مركز متصرفية عدد سكانها نحو (٦٠٠٠) ، وهي جميلة وفيها عيون مياه أشهرها العين التي تسمى الآن عين (الفرس) ، والمدينة جميلة بهيئة واحة في الصحراء ، ولها طابع محلي خاص ومعظم سكانها وسكان ضواحيها من الطوارق .

واسم غدامس قد احتفظ بالاسم الروماني القديم فهو محرف عن اسم المدينة القديمة (كيداموس) او (كيدامي) وتقع غدامس في اقصى الغرب من الاجزاء الداخلية في ليبيا بجوار الحدود الليبية - الجزائرية - التونسية . واقدم ما نعرفه عنها في العهد الروماني . بالاضافة الى ذكرها من جانب الكتاب الرومان ، مثل (بلني) و (بروكوبيوس) وغيرهما ، انه شيد فيها احد الحصون او الثغور الرومانية المسماة في المصادر الرومانية بمصطلح (ليمس تريبوليتانوس) وكان هذا نظاما من الدفاع العسكري أوجده الامبراطور (سبتيميوس سفيروس) (١٩٣-٢١١م) وهو من مواليد لبدة ولعله من أصل ليبي، وذلك لحماية المستوطنات الساحلية الطرابلسية ازاء هجمات القبائل الداخلية ، واشهر هذه الحصون ابتداء من الشرق ، الحصن القائمة خرائبه الان في (ابو نجيم) ، من عهد الامبراطور (سفيروس) السالف الذكر (٢٠١/٢٠٠ م) ، وحصن ثان يليه الى الغرب قائم في (القريات الغربية) ، من عهد الامبراطور الاسكندر سفيروس (٢١٨-٢٣٥) م ثم الحصن الذي شيده الامبراطور كراكلا (٢١١ - ٢١٨ م) في غدامس التي نحن بصددها .

ي - سرت :

توجد مدينة حديثة باسم (سرت) ، تبعد شرقي طرابلس بنحو (٥٥٠ كم) ، وهي مركز متصرفية وقد نشأت في العصر العثماني بجوار القلعة العثمانية المسماة (قصر الزعفران) .

وعلى بعد بنحو (٥٠-٥٥ كم) الى الشرق يوجد مقر مديرية ناحية بأسم (سلطان) او (مدينة سلطان) وتقع في هذه المنطقة بقايا المدينة الاسلامية المشهورة (سرت) وقد ترد بصيغة (سورت) الواردة في غير واحد من كتب البلدان والتاريخ العربي ويبدو من هذه المصادر انها كانت موجودة فيما قبل القرن الرابع الهجري ، ولكنها اشتهرت كثيرا في العهد الفاطمي (القرنان العاشر والحادي عشر للميلاد) ، حيث اتخذت قاعدة في طريق زحف الفاطميين على مصر

من مقرهم في القيروان (تونس) في عهد خليفتهم الرابع المعز لدين الله وانتقاله الى مصر وتأسيس القاهرة (٩٦٩ م) .

وقامت مدينة (سرت) الاسلامية عند مدينتين اقدم منها وهما (كراكس) (الكرخ) الفينيقية ، وتليها في القدم المدينة الثانية الرومانية (اسكينه) .

ك ـ لبدة والخمس :

ولبدة الآن احتفظت باسمها القديم (لبتس) او (لبكس) وهما الصيغتان اللتان عرف بهما اليونان والرومان هذه المدينة الفينيقية الشهيرة التي جاء اسمها بالفينيقية الحديثة بصيغة (لبقي) أو (لفقي). وهي من أروع واشهر الآثار الباقية في جميع الشمال الافريقي وتبعد بنحو ١٢٣ كم شرقي طرابلس ، بجوار مدينة الخمس الحالية التي تعد من ضواحي لبدة الاثرية حيث تبعد عنها بنحو (٢ـ٣ كم) وهي مدينة كبيرة ، ومركز محافظة .

وتعد لبدة من اولى المستوطنات التى اسسها التجار الفينيقيون منذ أواخر الالف الثاني واوائل الالف الاول ق.م في الاجزاء الغربية من ليبيا وفي تونس (وعلى رأسها قرطاجنة الشهيرة وعوتيقا ، وكلتاها بالقرب من مدينة تونس الحالية ، ومستوطنات اخرى الى الغرب) . وكانت لبدة احدى كبريات المدن التي نمت الى مدينة كبرى منذ القرن السادس ق.م ، وعرفت منها ثلاث مدن مشهورة اطلق عليها اسم المدن الثلاث (تريبوليس) المكونة من لبدة واويا ـ اويات ، وقد قامت فوق انقاض اويا (طرابلس الحالية) و (صبراته ـ صبراتا) التي سيأتي ذكرها . واسم (تريبوليس) ظل في الاستعمال الى الفتح العربي ، واطلق على مدينة طرابلس الحالية وكذلك اطلق على اقليم طرابلس ، كما عرف اليونان اقليم طرابلس بأسم (امبوريا) أي (الاسواق او المراكز التجارية) . ومرت لبدة بأدوار تأريخية كثيرة لا مجال لتعدادها الى ان دخل جميع الشمال الافريقي تحت سيطرة الرومان من بعد تدمير قرطاجنة في الحرب الفينيقية ـ الرومانية الثالثة في عام ١٤٦ ق . م ، واصبحت المدن الطرابلسية ، منذ

منتصف القرن الاول ق.م ضمن الولاية الرومانية الجديدة افريقية، وصارت في بعض الادوار ولاية خاصة . وازدهرت لبدة في العهد الروماني الجديد في القرن الثاني الميلادي وزاد اتساعها وازدهارها في عهد الامبراطور الشهير (سبتيميوس سفيروس) (١٩٣ - ٢١١ م) الذي قلنا انه من مواليد لبدة ويرجح أصله الليبي ، ولكن بدأ الانكماش والانحلال في لبدة وسائر الشمال الافريقي منذ القرن الرابع الميلادي ، وحلت الفترة المظلمة إبان غزو الوندال (القرن الخامس الميلادي) اعقبتها فترة انتعاش من بعد استعادة الرومان البيزنطيين لشمالي افريقية في القرن السادس الميلادي في عهد الامبراطور الشهير (جستنيان) (٥٢٧ - ٥٦٥ م) . وكانت لبدة ابان الفتح العربي بليدة او قرية لم تذكر في اخبار الفتح لاقليم طرابلس ، حيث تركزت جيوش الروم (البيزنطيين) في مدينة طرابلس ، ومن بعدها في صبراته وفي (شروس) اللتين سيأتي ذكرهما .

والجدير بالذكر عن لبدة ان هناك لبدة اخرى انشأها الفينيقيون أيضا في تونس بالقرب من سوسه (تونس) وسميت بلبدة الصغرى تمييزا لها عن لبدة الليبية التي سميت بلبدة الكبرى أو العظمى .

ل - سبراطة وزواغة :

وتسمى (صبراته) أو (صبراتا) ، وقد سبق ان تطرقنا الى ذكرها في كلامنا على لبدة وتلى صبراته ، الواقعة بنحو (٦٧ كم) غربي طرابلس ، بقايا لبدة في الاهمية من حيث الروعة وجودة البناء والمعالم الباقية ، وصبراته الان بالقرب من مركز ناحية وبالقرب من متصرفية صبراته الحديثة التابعة الى محافظة الزاوية . وبالامكان القول ان نفس الادوار التأريخية التي مرت على لبدة تنطبق على صبراته ، فهي أيضا من أولى المستوطنات الفينيقية المشهورة ، وثالث مدينة كبرى من اقليم (تريبوليس) الفينيقي . وابان عظمة قرطاجنة كانت صبراته ولبدة واويا (طرابلس) تابعة لامبراطورية قرطاجنة ثم دخلت تحت الحكم الروماني في الولاية الافريقية الرومانية منذ منتصف القرن الاول ق.م وورد ذكر صبراته في اخبار الفتح

العربي (٦٤٢/٣م حيث جرى احتلالها بعد فتح طرابلس واتخذت قاعدة للزحف على مدينة جبل نفوسة (الجبل الغربي) .

وعرفت صبراته بأسم ثان هو (زواغة) نسبة الى القبيلة البربرية المعروفة بهذا الاسم الساكنة في المنطقة الان ، وورد اسم زواغة كذلك في كثير من كتب الرحالة والباحثين الاولين حتى ذكرت في خرائط التنقيبات الايطالية (١٩٢٠ — ١٩٢٤) على انها صبراطة الأثرية .

م — شروس :

تقع بقايا مدينة شروس الواسعة عند وادي شروس على بعد نحو (٣٧ كم) شرقي نالوت ، وأقرب مدينة حديثة لها مركز مديرية ناحية الحرابة التابعة الى متصرفية (نالوت) وتعد خرائب شروس أوسع البقايا الاثرية في جبل نفوسة (الجبل الغربي) ولا تزال معالم الكثير منها واضحة مثل الحصون والمسجد والجامع والدور ، وكانت مركز الجبل ابان الفتح العربي ، حيث قصدتها جيوش المسلمين من بعد الاستيلاء على طرابلس وصبراته . وذكرت في اخبار الفتح مثل كتاب ابن عبد الحكم (القرن التاسع الميلادي) ، والظاهر ان أهميتها تضاءلت فيما بعد وندر ذكرها في كتب التاريخ وهي الان غير مسكونة.

ن — طرابلس أو تريبولس :

مدينة قديمة من مدن الفينيقيين بنوها في القرن الثامن قبل الميلاد وكان اسمها (تريبوليتانوس) أي اقليم المدن الثلاث وهي لبدة وصبراطه واويا . ثم اطلق على أويا وهي مدينة طرابلس اسم تريبولس فحرف الى العربية بأسم اطرابلس وأول من كتبها بهذا الشكل بأضافة الالف الى أولها القائد عمرو بن العاص في رسالته الى الخليفة عمر بن الخطاب مخبرا اياه بأفتتاحها وكلمة (تري) تعني ثلاثة و (بولي) تعني مدينة .

وعندما بناها الفينيقيون لم يحيطوها بسور للدفاع عنها ولكن الروم احاطوها بسور من جهة البر عند احتلالهم اياها . وعند الفتح

العربي الاسلامي كانت اطرابلس تابعة للروم البيزنطيين وكانت ولاية واحـدة مـع برقـة تابعـة لحاكم مصر البيزنطي . وهى الان عاصمة الجمهورية العربية الليبية ومن أهم المدن العربية على ساحل البحر الابيض المتوسط .

* * *

التقـدم نحـو برقـة

اسباب الفتح

كان الشمال الافريقي جمعيه تابعـا لدولة الروم البيزنطيـة وما كاد عمرو بن العاص ينتهي من فتح الاسكندرية واستتباب الأمن له في مصر حتى فكر في امر فتح برقة واطرابلس اي ليبيا الحالية . وذلك للاسباب التالية على الاغلب :

آ ــ ضمان سلامة مصر ضد احتمالات غزو بيزنطي بري .

ب ــ القضاء على القواعد البحرية البيزنطية فيها .

ج ــ وجـود طاقات كبيرة في مصـر سواء منهـا الاقتصادية او الصناعية أو العسكرية التي تسهل له اتخاذها قاعدة يستند عليهـا لفتح كل الشمال الافريقي وتحريره .

د ــ سهولة احتلالها نظرا لوجود القبائل العربية القديمـة (البربر) فيها .

هـ ــ تطبيق قاعدة الجهاد في سبيل الله .

و ــ عدم ترك الجيش في حالة رخاوة قد تفقده كثيرا من صفاته لاسيما وانه الجيش الذي شارك في اليرموك واجنادين وحرر فلسطين ومصر .

ز ــ ما يضفيه تحرير ليبيا من مجد شخصي الى القائد عمرو بن العاص نفسه علاوة على مجده الذي حصل عليه .

١ ــ مسير الاقتراب نحـو برقـة :

آ ــ بعد ان انتهى من احتلال الاسـكندرية في تشـرين الاول (اكتوبر) عام/٦٤٢ م استأذن القائد عمرو من القائد العـام للقوات المسلحة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في الزحف على برقة وطرابلس ولابد ان يكون ابن العاص بحاجة الى الوقت لاعادة التنظيم وترسيخ الحكم والدين في الاسكندرية وتنظيم امورها كما انه بحاجة الى جواب القائد العام للقوات المسلحة ، وحيث ان الشتاء قد اوشك ان يدركه

لذلك اميل الى الراي القائل انــه زحف على ليبيا في ربيــع (٦٤٣ م) الموافق لعام (٢٢ هجرية) وليس فور احتلاله للاسكندرية .

ب ـ واذا علمنا بأن جيش بن العاص في هجومه الثاني علــى الاسكندرية كان (١٥) الف مقاتل طبعا عدا الجنود الاخرين فــي المواقع والحاميات الاخرى فيكون تعداد جيشه حوالي (٢٠) الــف مقاتل ولكي يحمي مصر من المفاجآت ولاغراض استتباب الأمن أرى ان جيشــه الذي تقــدم به نحو برقــة وطرابلس لم يتجاوز ١٠ آلاف مقاتل .

ج ـ لقد عقب الجيش نفس الطريق الساحلي الحالي الــذي يربط مصر بليبيا وقد لا يوجد جديد في التعبئة واساليب القتال الا شــوق العــرب للتقــدم في أراض مشابهة تماما لاراضيهم في شــبه الجزيرة العربية .

وكانت كتائب الخيالة قد دفع بها بعيداً الى الامام ونشر بعضها على جناحه الايسر بينما كان الجيش كله على الطريق الساحلي العام المعروف .

د ـ لقد قطع المسافة من الاسكندرية الى برقة في عشرين يومــا وعندما كان الجيش يشرف على مدينــة يطبق عليهــا ، فان صالحت دخلهــا الجيش العــربي ســلماً ، وان تحصنت اقتحمهــا ، ويبــدو ان مدن برقة الخمســة وتسمى انطابلس قد صالحت العرب دون قتال وذلك ما رواه البلاذري في فتوح البلدان عن عبدالله بن هبيرة (لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية سار في جنده يريد المغرب ، حتى قدم برقة ، وهي مدينة انطابلس فصالح اهلها على الجزية وهي ثلاثة عشر الف دينار ... الخ) . وروى البلاذري في رواية ثانية (صالح عمرو ابن العاص اهل انطابلس ومدينتها برقة وهي بين مصر وافريقيا بعــد ان حاصرهم وقاتلهم على الجزية ... الخ) .

هـ ـ ويبدو أن بعض المقاومات الطفيفة قد حصلت وذلك من الامور الاعتيادية ، الا ان الواضح في خطط عمرو بن العاص هو تدميره لكل الاسوار التي كانت تحيط بالمدن سواء جرى احتلال المدن سلما

او حربا وذلك لمنع الانزال فيها او منعها من التمرد حيث يسهل عليه اخضاعها . كما انه كان كعادة كل العرب يتخذ معسكراته بعيدا عن ساحل البحر خوفا من مفاجآت الاسطول الرومي . واستمرت هذه العادة والاستراتيجية لدى العرب من بعده حتى انهم كانوا يبنون المدن بعيدا عن الساحل لتجنب خطر الاساطيل البحرية .

الزحف نحو طرابلس وزويلة

١ ـ مسير الاقتراب :

آ ـ وبعد ان انتهى من مدن برقة (انطابلس) الخمسة المذكورة سابقا زحف بقوته الرئيسية نحو طرابلس الغرب وارسل رتلا قويا نحو الجنوب يسير بعدئذ باتجاه جنوبي غربي لفتح زويلة التي تبعد حوالي (٧٥٠) كيلو مترا جنوب شرقي طرابلس و (١٥٠) كيلو مترا جنوب شرقي مرزوق (مرزق) وكان الرتل الثاني بقيادة الشاب البطل عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط الفهري .

ب ـ خطته هذه حكيمة مبنية على تصورات صحيحة فقد شعر ان زحفه على طرابلس سيلاقي مقاومة فتحرك بالرتلين المذكورين فقد امن جناحه الايسر برتل عقبة بن نافع ويكون رتل عقبة امينا من جهة الشمال والخلف لوجود الرتل الرئيسي في المنطقة الساحلية بقيادة عمرو بن العاص .

ج ـ وسار على نفس الطريق الساحلي الحالي وعلى نفس السياسة في مصالحة المدن التي ترتضي الصلح واقتحام اسوار المدن التي تأبى الا الحرب مع تهديم اسوار كافة المدن سواء فتحت عنوة ام صلحا حتى وصل الى مدينة طرابلس فقاومته وتحصنت خلف الاسوار وحاول عمرو فتحها عنوة فصمدت فقرر محاصرتها .

٢ ـ اقتحام طرابلس :

آ ـ لما استعصت طرابلس على عمرو بن العاص قرر التعسكر على الرابية الكائنة في جنوبها الشرقي واحاطت قواته الخفيفة بالسور للاستطلاع والمراقبة وقرر ايضا القيام باستطلاع مفصل للجبهة والاسوار للعثور على نقطة ضعف فيها تمهيدا لوضع خطة مضمونة النجاح لاقتحام المدينة .

ب ـ طبيعة الارض :

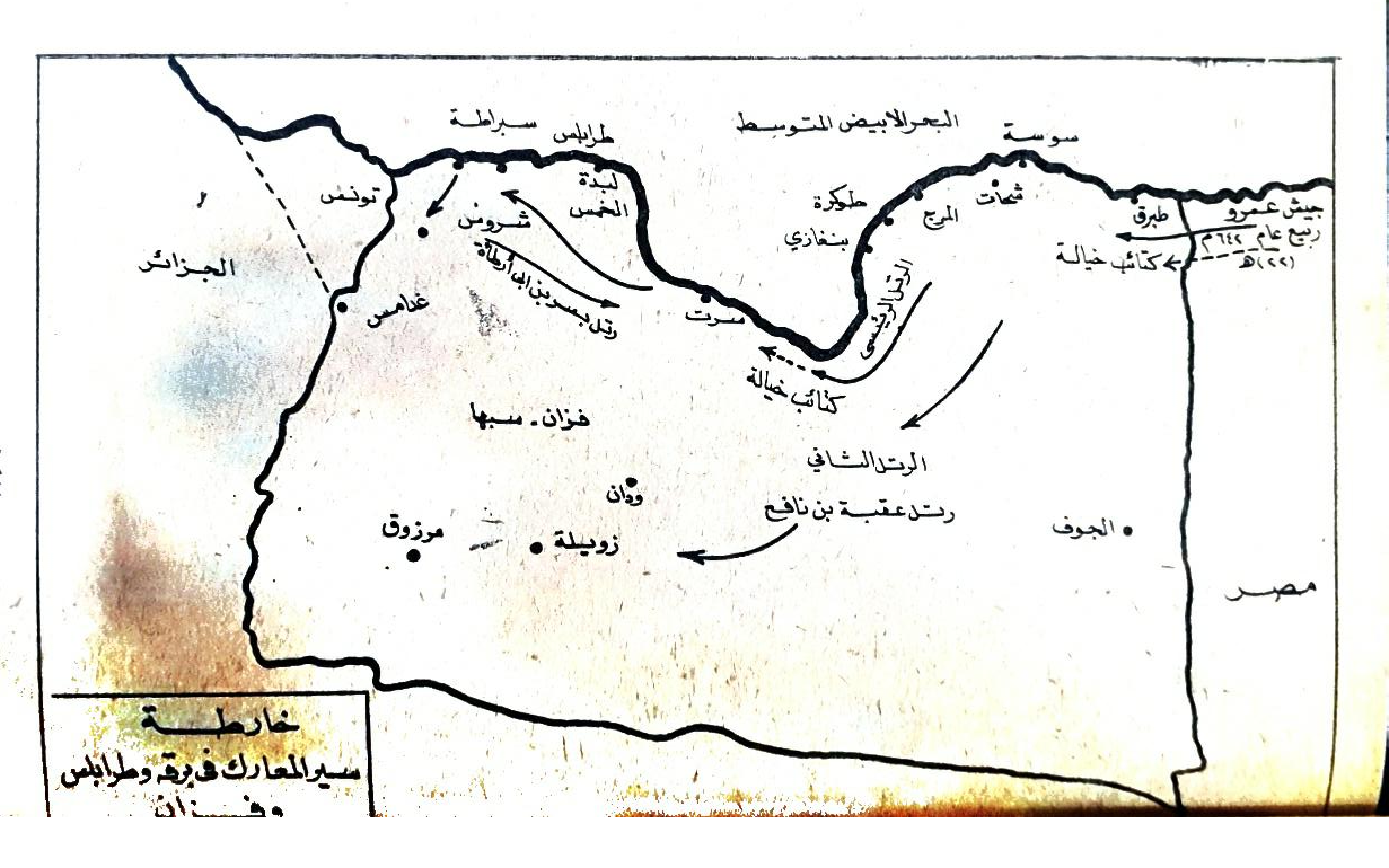
طرابلس ميناء بحري هام يحيط بها سور منيع من جهاتها الشرقية والجنوبية والغربية . وفي الجهة الشمالية الغربية من المدينة داخل الاسوار تعلو رابية عندها الكنيسة القديمة . كما توجد رابية اخرى في نفس الجهة ولكن خارج السور بحيث انها تمكن دوريات الاستطلاع من الاشراف على ما يوجد داخل السور مقابلها . وكانت بعض الدوريات تعسكر على المرتفع هذا وعلى مسافة كيلو متر من السور اتقاء لخطر رشقات النبال والمجانيق الرومية .

ج ـ الاستطلاع :

وبعد شهر من الحصار لاحظت احدى الدوريات الاستطلاعية بقيادة المدلجي ان المد والجزر يؤثر في خليج طرابلس وميناءها بحيث ينحسر الماء عند الجزر فيبتعد عن السور في الجهة الشمالية الغربية فيترك ثغرة من الارض المنبسطة يسهل المرور منها بين الماء والسور . واخبر القائد بذلك .

د ـ خطة الاقتحام :

وهنا قرر عمرو الاستفادة من هذه الظاهرة الطبيعية في اقتحام المدينة فحرك قطعاته وربما كان ذلك ليلا لتكون خلف التل المشرف على الشمال الغربي من السور وعند الفجر دفع بقطعات الصولة الى الثغرة دون اسناد برمي النبال او المقذوفات وذلك ليؤمن المباغتة التامة .



خارطة
سير المعارك في برقة وطرابلس وفزان

هـ ـ المعركة :

لقد تمت العملية بنجاح باهر ودارت معركة شديدة التحم فيها الطرفان بالسيوف وكان الروم تحت تأثير المباغتة التامة فاصيبوا بخسائر فادحة وفروا مذعورين الى السفن الراسية في الميناء فمنهم من قتل ومنهم من هرب بالسفن . وبعد ان سيطر عمرو على المدينة أمر بهدم سورها لكي لا تتمرد في المستقبل .

٣ ـ فتح صبراطة :

تقع هذه المدينة على مسافة (٦٧) كيلو متر غربي طرابلس وكانت مدينة محصنة يحيطها سور من ناحية البر . وخشية من أن تتكرر عملية الحصار سارع عمرو بن العاص فور دخوله طرابلس فارسل كتائب الخيالة بقيادة عبدالله بن الزبير لاحتلالها وأوصاهم بالاسراع في التقدم وعدم اضاعة الوقت وان يقضوا ليلتهم في الطريق اليها مع الحفاظ على الكتمان وتامين المباغتة التامة عند الفجر .

وحسب الخطة المرسومة للقائد الداهية راحت الخيالة العربية تنهب الطرق الى صبراطة وكمنت ليلا وعند الفجر شنت هجوما صاعقا على الاسوار فوجدت الابواب مفتوحة والناس في حالة اعتيادية يخرجون من ابواب السور نحو مزارعهم لاعتقادهم ان طرابلس لازالت تقاوم وان العرب موجودون عند اسوارها والحكمة في خطة عمرو انه لم يمهل حامية صبراطة لكي يصلها خبر ابادة حامية طرابلس فتتحصن خلف الاسوار .

٤ ـ فتح ودّان :

وبينما كان ابن العاص يحاصر طرابلس اراد استغلال فرصة الجمود هذه في اسناد رتل عقبة بن نافع وتشتيت المقاومات بالجنوب ولكي لا يهاجم من الخلف . فأرسل رتلاً بقيادة بسر بن ابي ارطاة الى ودّان وهي من المدن الليبية الجنوبية وهي على بعد (٧٧٠) كيلومترا جنوب شرقي طرابلس وجنوب سرت بنحو (٣٠٠) كيلومتراً فصالحه اهلها على الجزية .

٥ ـ فتــح زويلـــة :

اما رتل عقبة بن نافع الفهري الذي سبق ان اشرنا الى حركته من برقة بعد احتلالها فقد اتم واجبه بنجاح تام ففتح زويلة صلحـــا وفرض عليها الجزية .

٦ ـ الأذن بالتقدم نحو تونس :

آ ـ وبعد ان اتم ابن العاص فتح برقة وطرابلس وكافة المدن في ليبيا الحالية ارسل الى القائد العام للقوات المسلحة الخليفة الثانــي عمر بن الخطاب رسالة يخبره فيها بالفتح المبين ويغريه بالموافقة على التقدم غربا (ان الله قد فتح علينا اطرابلس . وليس بينها وبـــين افريقيا الا تسعة أيام فأن رأى امير المؤمنــين ان يغزوها ويفتحها الله على يديه فعـــل) .

ب ـ الا ان الخليفة الذي كان يخشى البحر ويخشى المجهول ويخشى ابتعاد جيوشه عنه ، رفض ذلك برسالته الجوابية الى قائد الجيش عمرو بن العاص (لا انها ليست بأفريقية ، ولكنها المفرقــة ، غادرة مغدور بها ، لا يغزوها أحد ما بقيت) .

ج ـ وقبل ان يعود بن العاص بجيشه ترك حامية في برقة بقيادة القائد الشاب عقبة بن نافع وعينه واليا عليها وعلى طرابلس .

د ـ ويبدو ان سكان برقة وطرابلس قد أسلم كثير منهم بسبب صلات القربى مع العرب وكان بعض سكانها من العرب الذين تسللوا اليها قبل الفتح عبر وادي النيل نظرا لتشابه ظروف الحياة والمعيشة في ليبيا مع ظروفهم في الجزيرة العربية ووجود صلة القربى مع البربر . وهذا ما تفسره رسالة عمرو بن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب قبل رجوعه الى مصر كما رواها البلاذري يعلمه فيها أنه : (قد ولي عقبة بن نافع الفهري المغرب فبلغ زويلة ، وان من بين زويلة وبرقــة سلم كلهم حسنة طاعتهم ، قد ادى مسلمهم الصدقة واقر معاهدهم بالجزية . وانه قد وضع على اهل زويلة ومن بينه وبينها مــا رأى

انهم يطيقونه . وأمر عمّاله جميعا ان يأخذوا الصدقة من الاغنياء نيردوها في الفقراء ، ويأخذوا الجزية من الذمة فتحمل اليه بمصر وان يؤخذ من أرض المسلمين العشر ونصف العشر ، ومن اهل الصلح صلحهم) .

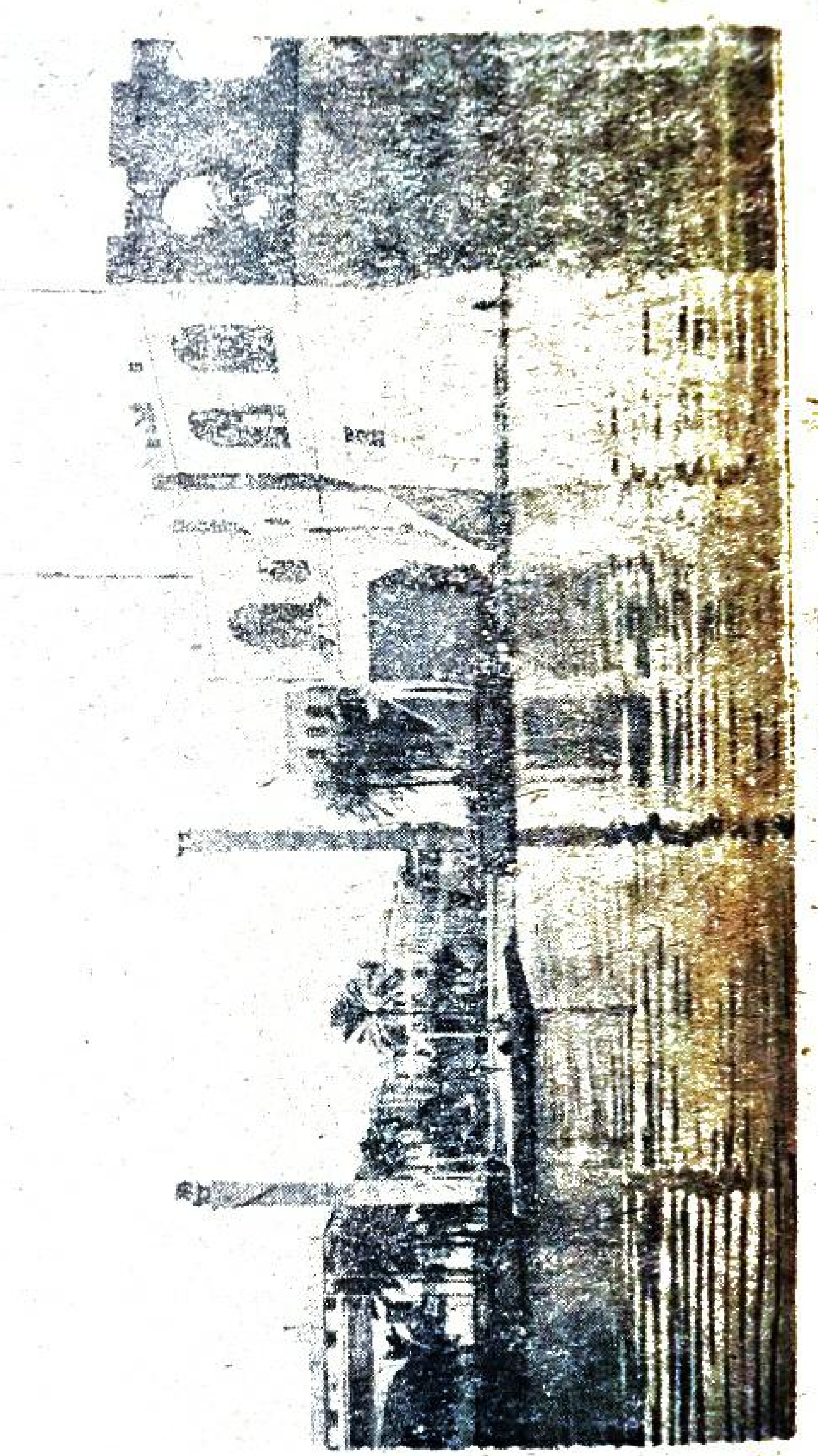
هـ ـ وعاد عمرو بن العاص بمعظم جيشه الى الفسطاط . وقد ظلت الحال في برقة وطرابلس في تحسن مستمر ولم تحصل فيها فتنة ولم تكن هناك حاجة الى الجباة أصلا مما يدلل على ان السكان هناك شعروا بانهم والعرب من اصل واحد كما لمسوا عدالة العرب والاسلام ، ولذلك يروى صاحب فتوح البلدان عن الرواة (كان اهل برقة يبعثون بخراجهم الى والي مصر من غير ان يأتيهم حاث او مستحث . فكانوا اخصب قوم بالمغرب ، ولم يدخلها فتنة) .

* * *



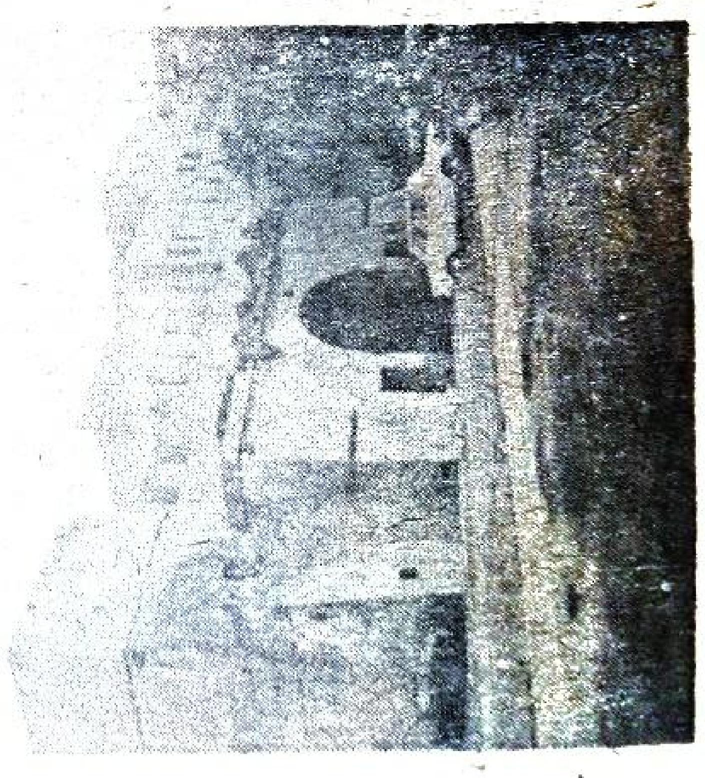
منظر عام يبين سور طرابلس والقلعة من الجو وتبدو القلعة على حافة البحر ، بينما كانت في حينه توجد قطعة ارض من الساحل امتدادا للقطعة الساحلية التي تبدو خلف القطعة والتي استفاد منها الجيش العربي اثناء الجزر في اقتحام المدينة .

وتبدو في آخر الصورة ، خزان الماء القائم على الارض المرتفعة التي عسكر فيها فوج من الجيش العربي قبل اقتحام المدينة .

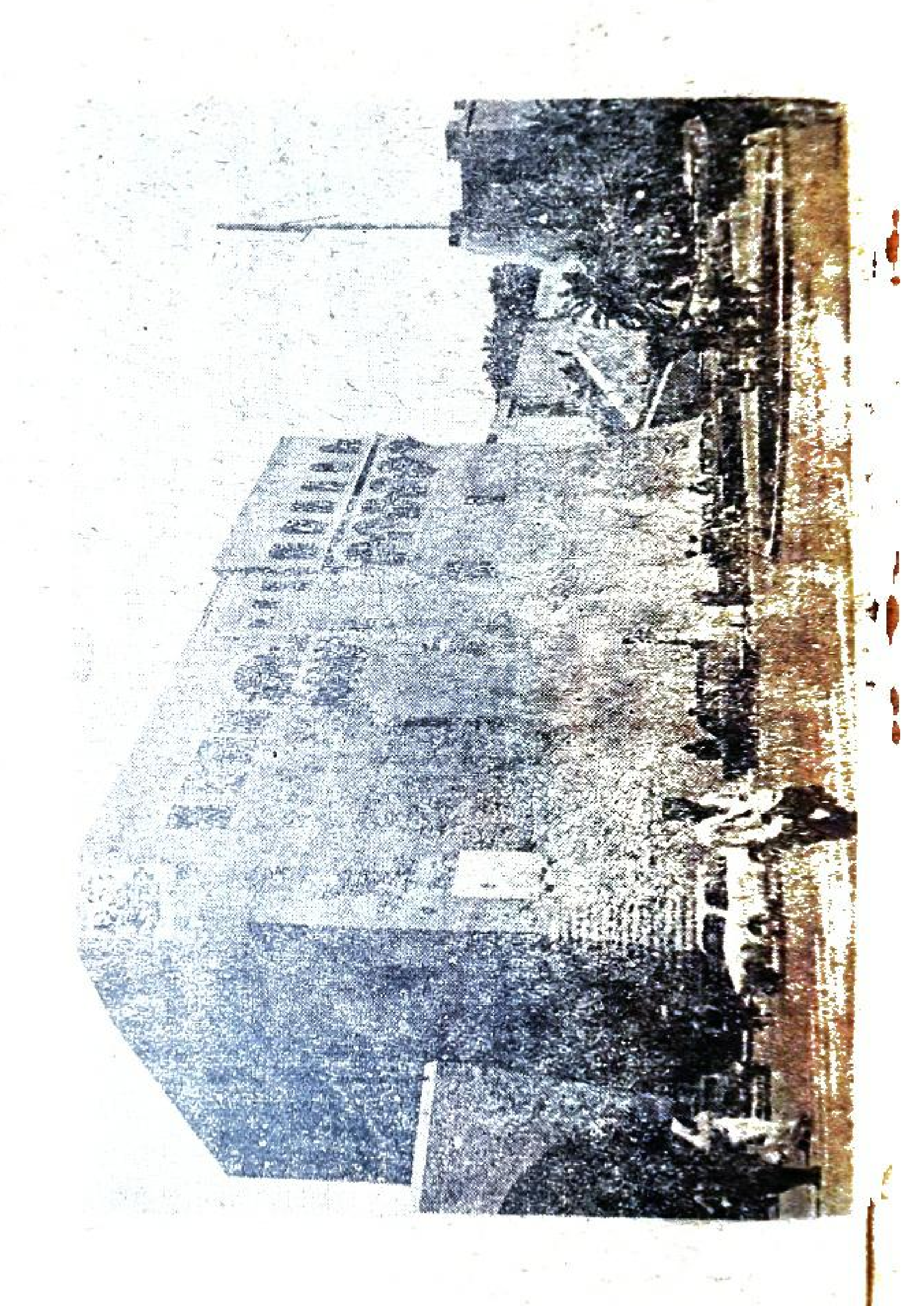


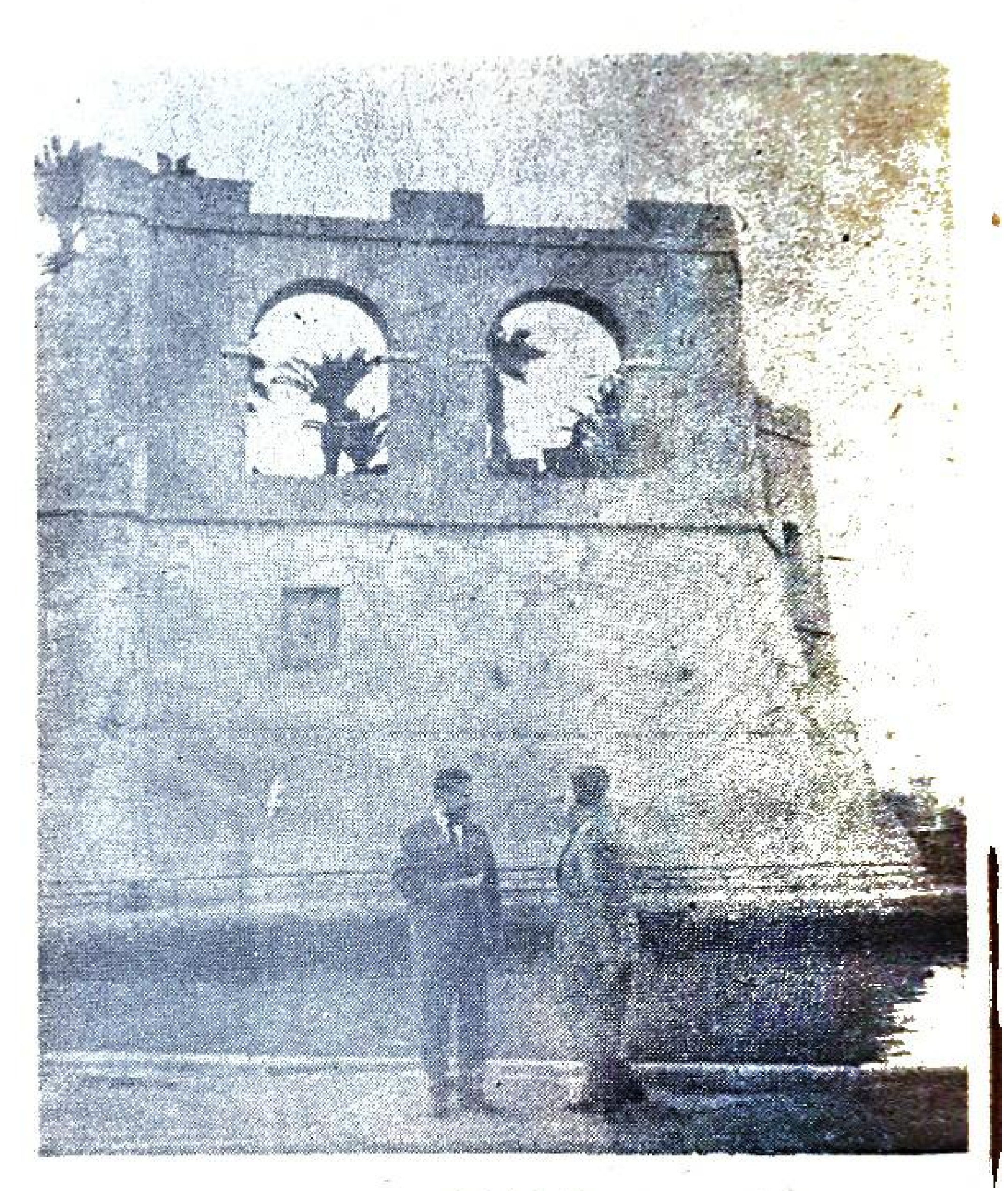
قلعة طرابلس الحمراء





منظران يمثلان قلعة طرابلس كما تشاهد اليوم





قلعة طرابلس

احد الجوانب كما تشاهد اليوم

الفصل السادس

الشخصية الأدبية لعمرو بن العاص

الفصـــل السادس

الشخصية الادبية لعمرو بن العاص

- ١ -

بلاغته وروائعه الادبية

ومن آيات ابداعه وبلاغته وصفه لمصـــر في رسالته التي بعثها الى الخليفة عمر بن الخطاب وهي :

(مصر تربة غبراء وشجرة خضراء طولها شهر وعرضها عشر ، يكنفها جبـــل أغبر ورمل اعفر ، يخط وســـطها نهر ميمون الفدوات مبارك الروحات ، يجري بالزيادة والنقصان ، كجري الشمس والقمر له أوان ، تظهر بـــه عيون الارض وينابيعها ، حتى اذا عـــج عجاجه وعظمت امواجه ، لم يكن وصول بعض القرى الى بعض الا في خفاف القوارب وصغار المراكب ، فاذا تكامل في زيادته نكص على عقبه كأول مابدا في شدته وطما في حدته ، فعند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون اوديته وروابيه ، يبذرون الحب ويرجون الثمار من الرب ، حتى اذا اشرق واشرف سقاه من فوقه الندى ، وغذاه من تحته الثرى ، فعند ذلك يدر حلابه ويغني ذبابه ، فبينما هي يا أمير المؤمنين درة بيضـــاء فاذا هي عنبرة سوداء ، فاذا هي زبرجدة خضراء ، فتعالى الله الفعال لما يشاء) .

- ٢ -

وتعتبر رسالته فـــي وصف مصر التي ، أشرنا اليها مـــن ابلغ الرسائل ليس في اللغة العربية فحسب وانما في كل اللغات بالعالم .

وقد علق عليها الخليفة عمر بن الخطاب قائلا (لله درك يا ابن العاص لقد وصفت لي خبرا كأني اشاهده) .

وقد طلب منه الخليفة عمر بن الخطاب ان يصف البحر فاجابه عمرو (انه خلق كبير يركبه خلق صغير : دود على عود) .

وبعد تحرير الاسكندرية وطرد الروم منها بعث برسالته التالية المختصرة الوافية الى الخليفة عمر بن الخطاب .

(اما بعد فاني فتحت مدينة لا اقدر اصف ما فيها ، غير اني اصبت فيها اربعة آلاف بنية ، باربعة آلاف حمام ، واربعين الف يهودي عليهم الجزية واربعمائة ملهى للملوك .... الخ) .

- ٣ -

عمرو بن العاص يروي الحديث :

كان عمرو بن العاص ممن روى الحديث عن النبي (ص) . فقد روى تسعة وثلاثين حديثا . وكان فقيها بين الصحابة . وصفه احدهم قائلا :

(صحبت عمرو بن العاص فما رايت رجلا ابين قرآنا ولا اكرم خلقا ولا اشبه سيرة بعلانية منه) .

وكان مجتهدا في امور الدين . فقد احتلم في ليلة باردة ولكنه لم يغتسل وانما تيمم وصلى بأصحابه وعندما قدم على الرسول ذكر له الحادثة فقال الرسول (ياعمرو صليت بأصحابك وانت جنب ؟) فقال عمرو نعم يارسول الله اني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فاشفقت ان انا اغتسلت ان اهلك وذكرت قول الله عز وجل (ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما)

فتيممت ثم صليت . فضحك الرسول ولم يقل شيئا .

وهو الذي روى عن النبي انه قال (اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر) .

* * *

حكمتــه :

كـان عمرو بـن العاص حكيما ومـن مأثور اقوالـه قولـه لمعاوية بن ابي سفيان .

(ان الكريم يصول اذا جاع واللئيم يصول اذا شبع ، فسد حاجة الكريم واقمع اللئيم)

وهو القائل :

(ليس العاقل من يعرف الخير من الشر ولكنه الذي يعرف خير الشـرين) .

ومن اقواله :

(موت ألف من العلية اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة) .

وهو يقصد بالضبط ان خسارة الف من الواعين اقل ضرراً من ارتفاع وتحكم واحد من المخربين أو المنحرفين .

ومن اقواله ايضا :

(ابلغ الناس من كان رأيه راداً لهواه) .

وهو القائل :

(أسخى الناس من بذل دنياه في صلاح دينه)

وسئل عمرو فقيل له ما العقل فقال :

(الاصابة بالظن ، ومعرفة ما سيكون بما قد كان)

ومن ابلغ حكمه وصيته لابنه اذ قال له :

(يابني ، امام عادل خير من مطر وابل ، واسد خطوم خـير من فتنة تدوم . يابني ، مزاحمة عظم يجبر ، وزلة اللسان لاتبقـي ولا تذر ، يابني . استراح من لا عقل لـه) .

* * *

شعره وادبه :

كان عمرو بن العاص شاعرا اديبا ومن ابلغ بلغاء العرب .

ففي الهجوم على حصن بابل المصرية (بابليون) قال وهو يصول كالاسد الهصور .

يوم لهمدان ويوم للصدف والمنجنيق في بلي تختلف
عمرو له يرقل ارقال الخرف (١)

وفي واقعة (صفين) بين الامام علي بن ابي طالب ومعاوية ابن ابي سفيان ، ترجل عمرو بن العاص وكان هو القائد الحقيقي لجيش معاوية بن ابي سفيان وتقدم زاحفا نحو جيش الامام علي بقصد الاشتباك بالسلاح الابيض وأنشد .

وصبرنا على مواطن ضنك وخطوب ترى البياض الوليدا

ومن اشعاره قوله لعمارة بن الوليد المخزومي شقيق خالد بن الوليد بعد ان أوقع به عمرو في الحبشة لانه تجاسر عندما كان مخمورا فراود امرأة عمرو فغضب عمرو لذلك وانتقم منه :

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة اذا ذكرت امثالها تملاء الفما
من الآن فانزع عن مطاعم جمة وعالج امور الموت لا تتندما

* * *

وقال في وصف فرسه :

شبت الحرب فأعددت لها مفرع الحارك محبوك الثبج
يصل الشد بشد فاذا ونت الخيل من الشد معج

والمفرع الحارك هو طويل الكاهل ، والمحبوك الثبج هو المتين الظهر . والشد هو الركض والحملة . والمعج هو الاسراع .

* * *

---

(١) راجع صفحة ٨٧ .

ووصف عمـرو اهل زمانـه فقـال :

(اهل الشام اطوع الناس لمخلوق واعصاهم للخالق ، واهل مصر اكيسهم صغارا واحمقهم كبارا ، واهل الحجاز اسرع الناس الى الفتنة واعجزهم عنها ، واهل العراق اطلبهم للعلم وابعدهم عنه) .

ووصف عمرو بن العاص نفسه في احدى خطبه فقال :

(قد علمتم انني الكرار في الحرب ، وانني الصبور على غـير الدهر ، لا انام عن طلب ، كأنما أنا الافعى عند أصل الشـجرة ، ولعمري لست بالواني أو الضعيف بل انا مثل الحية الصماء ، لا شفاء لمن عضته ولا يرقد من لسعته ، واني ما ضربت الا فريت ولا يخبو ما شببت . عرفني أصحاب يوم الهرير (في صفين) ، انني اشدهم قلبا واثبتهم يدا ، احمى اللواء واذود عـن الحمى ، فكأنني وشانئى[1] عند قول القائل :

وهل عجب ان كان فرعي عسجدا   اذا كنت لا ارضى مفاخرة العشب

★ ★ ★

ومن روائع بلاغتـه وفصاحته وحسـن تدبيره للامور ما نرى من نصح وارشاد في احدى خطبه في صلاة الجمعة بمصر :

(يا معشر الناس ، اياي وخلالا اربعا ، فانها تدعو الى النصب بعد الراحـة ، والى الضيق بعد السعة ، والى الذل بعد العز . اياي وكثرة العيال ، وانخفاض الحال ، وتضييع المـال . والقيل بعد القال في غـير درك ولا نوال ، انـه لابد من فراغ يـؤول المرء اليه في توديـع جسمه ، والتدبير لشأنه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها ، ومن صار الى ذلك فلياخذ بالقصد والنصيب الأقل ، ولا يضيع المرء في فراغـه نصيب نفسـه من العلم فيكون من الخير عاطلا ، وعن حلال الله وحرامه

---

(١) شانئى اى مبغضى .

عافلا . يامعشر الناس ، انه قد تدلت الجوزاء ، وارتفعت الشعرى ، واقلعت السماء ، وارتفع الوباء ، وقل الندى ، وطاب المرعى ووضعت الحوامل ، ودرجت السخائل ، وعلى الراعي حسن النظر ، فحى بكم على بركة الله الى ريفكم ، فتنالوا من خبزه ولبنه وخرافه وصيده ، واربعوا خيلكم واسمنوها ، وصونوها واكرموها ، فانها جنتكم من عدوكم ، وبها تنالون مغانمكم وانفالكم واستوصوا بمن جاورتموهم من القبط خيرا ، واياكم والمشمومات المعسولات ، فانهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم .

حدثني عمر امير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله سيفتح عليكم مصراً . فاستوصوا بقبطها خيرا ، فأن لهم فيكم صهرا وذمة . فكفوا ايديكم وعفوا فروجكم، وغضوا ابصاركم ، ولا أعلمن ما أتى رجل قد أسمن جسمه واهزل فرسه ، واعلموا انني معترض الخيل كأعتراض الرجال ، فمن اهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك ، واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم ، وتشوّف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية .

وحدثني عمر امير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا ، فذلك الجند خير اجناد الارض) . فقال له ابو بكر : (ولم ذاك يارسول الله). قال (لأنهم وازواجهم في رباط الى يوم القيامة) . فاحمدوا الله معشر الناس على ما اولاكم ، فاقيموا في ريفكم ما طاب لكم ، فاذا يبس العود ، وسخن العمود وكثر الذباب وحمض اللبن ، وصوح البقل ، وانقطع الورد من الشجر ، فحى فسطاطكم على بركة الله .

ولا يقدمن احد منكم ذو عيال على عياله الا ومعه تحفة لعياله ، على ما اطاق من سعته او عسرته ، اقول قولي هذا واستحفظ الله عليكم) .

* * *

رسالة من عمر بن الخطاب :

ومما يدل على ثقته بنفسه واعتداده بها وعلو همته انه وضع نفسه ندا لعمر بن الخطاب فرد على رسالته التي يستعجله بها بارسال خراج مصر الى الحجاز ، ردا بليغا فيه انفعال وانفة وكبرياء . وقد كان الخليفة قد بعث اليه بالرسالة التالية : —

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله عمر أمير المؤمنين الى عمرو بن العاص ، سلام عليكم ، فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، أما بعد ، فاني فكرت في أمرك والذي انت عليه ، فاذا ارضك ارض واسعة عريضة رفيعة ، وقد اعطى الله اهلها عددا وجلدا وقوة في بر وبحر ، وانها قد عالجها الفراعنة ، وعملوا فيها عملا محكما مع شدة عتوهم وكفرهم ، فعجبت من ذلك ،واعجب مما عجبت انها لا تؤدي نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جدب . ولقد اكثرت في مكاتبتك في الذي على ارضك من الخراج ، وظننت ان ذلك سيأتينا على غير نزر ، ورجوت ان تفيق فترفع الي ذلك ، فاذا انت تأتيني بمعاريض تعبأ بها ، لا توافق الذي في نفسي ، ولست قابلا منك دون الذي كانت تؤخذ به قبل ذلك من الخراج . ولست أدري بعد ذلك ما الذي انفرك من كتابي وقبضك ، فلئن كنت مجرباً كافياً صحيحا ، ان البراءة لنافعة ، وان كنت مضيعا نطعا ، ان الأمر لعلى غير ما تحدث به نفسك ، وقد تركت ان ابتلي ذلك منك في العام الماضي رجاء أن تفيق فترفع الي ذلك . وقد علمت انه لم يمنعك من ذلك الا ان عمالك ، عمال السوء ، وما توالس عليك وتلفف ، اتخذوك كهفاً . وعندي بأذن الله دواء فيه شفاء عما أسألك فيه . فلا تجزع ابا عبدالله ان يؤخذ منك الحق وتعطاه ، فان النهر يخرج الدر ، والحق أبلج ، ودعني وما عنه تلجلج ، فأنه قد برح الخفاء والسلام) .

* * *

فكتب عمرو بن العاص الى الخليفة عمر الجواب التالي : ـ

(بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص . سلام عليك . فاني احمد الله الذي لا اله الا هو ، اما بعد . فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين في الذي استبطاني فيه من الخراج . والذي ذكر فيها من عمل الفراعنة قبلي ، واعجابه من خراجها على ايديهم ، ونقص ذلك منها منذ كان الاسلام . ولعمري للخراج يومئذ أوفر واكثر ، والارض اعمر ، لانهم كانوا على كفرهم وعتوهم ارغب في عمارة أرضهم منا منذ كان الاسلام ، وذكرت ان النهر يخرج الدر . فحلبتها حلبا قطع ذلك درها ، واكثرت في كتابك وأنبت ، وعرضت وشريت ، وعلمت ان ذلك عن شيء تخفيه على غير خبر ، فجئت لعمري بالمفضعات المقذعات ، ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق . وقد عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن بعده فكنا بحمد الله مؤدين لأمانتنا ، حافظين لما عظم الله من حق ائمتنا ، نرى غير ذلك قبيحا ، والعمل بـه شيناً ، فيعرف ذلك لنا ويصدق فيه قلبنا ، معاذ الله من تلك الطعم ومن شر الشيم والاجتراء على كل مأثم ، فامض عملك ، فان الله قد نزهني عن تلك الطعم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عرضا ، ولم تكرم فيه اخا . والله يا ابن الخطاب لأنا حين يراد ذلك مني اشد لنفسي غضبا ولها انزاها واكراما ، وما عملت من عمل أرى عليّ فيه متعلقا ، ولكني حفظت ما لم تحفظ ، ولو كنت من يهود يثرب ما زدت ، يغفر الله لك ولنا ، وسكت عن اشياء كنت بها عالما ، وكان اللسان بها مني ذلولا ، ولكن الله عظم من حقك ما لا يجهل والسلام) .

فكتب اليه عمـر بن الخطـاب مايلي : ـ

(من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص . سلام عليك . فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، اما بعد ، فقد عجبت من كثرة كتبي اليك في ابطائك بالخراج . وكتابك الـتي بثنيات الطرق ، وقد علمت اني لست أرضى منك الا بالحق المبين . ولم اقدمك الى مصر اجعلها

ي طمعة ولا لقومك ، ولكني وجهتك لما رجوت من توفيرك الخـــراج
وحسن سياستك ، فاذا اتاك كتابي هذا فاحمل الخراج ، فانما هو
فيء المسلمين ، وعندي من قد تعلم ، قوم محصورون ، والسلام) .

* * *

ولكن الاداري الحازم والقائد الخبير بأمور السياسة والادارة رفض الاسراع بالجباية وكتب الى الخليفة ما يلي :ـ

(بسم الله الرحمن الرحيم ، لعمر بن الخطاب من عمرو بـن العاص ، السلام عليك ، فاني احمد اليه الله الذي لا اله الا هو . اما بعد فقد اتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطيني في الخراج ، ويزعم اني انحد على الحق وأنكب عن الطريق ، واني والله ما أرغب عن صالــح ما تعلم ، ولكن أهل الارض استنظروني الى ان تدرك غلتهم ، فنظرت للمسلمين ، فكان الرفق بهم خيرا من ان يخرق بهم فيصيروا الـــى بيع ما لا غنى بهم عنه) .

* * *

وبعد ذلك طلب الخليفة من عمرو أن يبعث اليه رجلا من اهل مصر . فبعث اليـــه رجلا كبيرا في السن من الأقباط فسأله عمـر عن مصر وخراجها فقال القبطي : ـ

يا أمير المؤمنين كان لا يؤخذ منها شيء الا بعد عمارتها ، وعاملك لا ينظر الى العمارة ، وانما يأخذ ما ظهر له ، كأنه لا يريدها الا لعام واحد .

فعند ذلك ادرك الخليفة ان ابن العاص كان على صواب وقبـل انه ما كان يعتذر به .

* * *

وفي ســـنة الرمادة اصاب الناس جوع شديد في المدنيـــة

فكتب الخليفة عمر الى عمرو بن العاص في مصر ما يلي : ـ

(من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العاصي بن العاص سلام ، اما بعد فلعمري ما تبالي اذا شبعت انت ومن معك ان اهلك انا ومن معي ، فياغوثاه ثم ياغوثاه) .

* * *

فكتب عمرو بن العاص وقد ادرك حاجة الناس بالمدينة وغضب الخليفة :

(اما بعد ، فيالبيك ثم يالبيك ، قد بعثت اليك بعير أولها عندك وآخرها عندي والسلام عليك ورحمة الله) .

قال عمرو بن العاص عندما حضرته الوفاة :

« اللهم امرتنا فنزلنا ونهيتنا فركبنا ، ولا يسعنا إلا مغفرتك » .

وفاتـــه

وعندما حضرته الوفاة دمعت عيناه فقال له ابنه عبدالله ، أجزع من الموت يحملك على هذا . فقال لا ، ولكن مما بعد الموت . يابني اذا انا مت فاغسلني وترا ، واجعل في آخر ماء تغسلني به شيئا من كافور ، فاذا فرغت فأسرع بي ، فاذا ادخلتني قبري فسن عليّ التراب سنا ، واعلم انك تتركني وحيدا خائفا ، فاذا سويتم عليّ فاجلسوا عند قبري قدر نحر جزور وتفصيلها استأنس بكم حتى اعلم ما اراجع به رسل ربي ، اللهم لا اعتذر ولكن استغفر ، اللهم انك امرت بأمور فتركنا ، ونهيت فركبنا ، فلا بريء فاعتذر ، ولا عزيز فانتصر ، ولكن لا اله الا انت ، لا اله الا انت » ثم قبض .

ومات يوم الفطر من عام ٤٣ للهجرة الموافق السادس من شهر يناير (كانون الثاني) ٦٦٤ للميلاد .

ويقال انه قال له فاذا اجتمع الناس فابدأ فصل عليّ ثم صل العيد .

ويروى أن عبدالله بن عمرو بن العاص عندما تقدم ليصلي على أبيه قال :ـ

والله ما أحسب ان لي بأبي أبا رجل من العرب وما احب ان الله يعلم ان عيني دمعت عليه جزعا ، وان لي حمر النعم ، ثم كبّر .

الخاتمة

ذلكم هو القائد المثالي ، والبطل الفذ ، والفتى العربي النادر المثال ، لقد توقد فتوة وذهنا وشجاعة ، وضرب في كل مجال بسهم وافر .

فهو القائد المحنك ، والداهية الذي لا يشق له غبار ، والشجاع المقدام . والسياسي المحنك العارف بظواهر وبواطن الامور . وصاحب الراي السديد والاصالة والحكمة . ومضرب المثل في المراوغة والحيلة والخداع بقصد التغلب على الاعداء (الحرب خدعة) .

نموذج رائع قدمته الامة العربية الى الحضارة والانسانية والتاريخ . فدخل في سجل الخالدين كواحد من أعظم رجال التاريخ .

تحدث عنه (مونتكمري) في كتابه (تاريخ الحرب) مشيرا اليه والى (خالد بن الوليد) كأعظم قادة الاسلام . ويقول ايضا في مكان آخر من كتابه (ان الاسكندرية التي كانت تحميها جدران قوية جدا وحامية عسكرية قوامها ٥٠ الف جندي والاسطول البيزنطي سقطت بيد عمرو بن العاص بالرغم من عدم توفر المعدات لديه او الخبرة بالحصار) .

ولست في معرض تعداد القادة الافذاذ الذين اشادوا بعبقرية قائدنا فلسنا بحاجة لذلك فنحن اعرف بقائدنا البطل . وان وجود الشام ـ بما فيها فلسطين ـ ومصر وليبيا عربية دليل ناصع على عظمته ومجهوده وحسن تصرفه في الحرب والقيادة السياسية والادارة .

لقد كان له فضل انتخاب ميدان المعركة الحاسمة في (اليرموك) وحقق فيها اعظم كسب تعبوي اذا احتل موضعا على طريق

اصحاب الروم قبل بدء المعركة وصاح (حصرت الروم ورب الكعبة لا يفلح محصور قط) .

وكان لـه الفضل في فتـح مصر وليبيا فان ذلك كان من بنـات افكاره وخططـه .

وعَمَّرَ مصر وادارها ادارة مثالية وفتح فيها الترع والقنوات اهمها ترعة امير المؤمنين ، فربط البحر الابيض بالبحر الاحمـر ، واحسن نظام الرى فيها وعامل المواطنين ورعاهم أحسن رعاية .

* * *

وبعد فلابد لي أن اشير الى الغاية المتوخاة من هـذا الكتاب . انني قصدت في تأليفه أن أعرض الامور بشكل مدرسي لكل مـن يتصدى للأمور العسكرية أو السياسية من الجيل الصاعد ليعرفـوا الاسس التي تبنى عليها القيادة الناجحة فيكونوا آمرى فصائـل وسرايا وكتائب وألوية وقـادة فرق ناجحين ويكونوا ـ ان كانوا من المدنيين ـ مدرسين وأساتذة وقادة فرق وشعب وفروع في التنظيمات الشعبية والوطنية ناجحين .

ألفت هـذا الـكتاب لـكي نقارن بين مواضع النصر في اليرموك سابقا وحاليا ولكي نقارن بين حالنا في فلسطين أيام عمرو بن العـاص وحالنا اليوم .

شعرت شعورا عميقا ودفعني دافع واحساس ملىء بالمرارة ان اقرب الماضي العسكري المجيد والسياسي الناصع من حاضرنا المؤلم ، واجعل جيل الهزيمة يلمس جيل النصر لمس اليد عندما يقرأ هـذا الكتاب ويتتبع أباه (عمرو بن العاص) وأردت بعملي هذا أيضا ان احفز ابناء الامة العربية في الاقطار المحيطة باسرائيل ـ الميدان الذي خاض فيه عمرو غمرات الحرب ـ فحرر تلك الاوطان وهي سـورية والاردن ومصر وليبيا بالدرجة الاولى والاقطار العربية الاخـرى

بصورة عامة ، ليأخذوا من ذلك عبرة ، عملا بقوله تعالى «واعتبروا يا اولي الالباب».

وارجو أن أكون قد وفقت بعملي في سبيل العروبة ومجدها ورسالتها الخالدة ، وارجو ان ابعث بتحية تقدير من الاعماق لكل من قرأ هذا الكتاب فوعاه واستوعبه واخذ منه العبر ولكل من عاون في اخراجه وابرازه الى حيز الوجود لينتفع به الناس ، ويكون لنا فيه مقياساً ، ويكون للقادة والآمرين نبراساً يضيء درب الخلاص والتحرير .

ولتعش الى الابد ذكرى القادة الخالدين ، ولتعش الى الابد سير الافذاذ الاولين ، ولترتفع من جديد روح جديدة ، تحرك تاريخنا نحو النصر الاكيد ، لتحرير الاجزاء السليبة وأولها فلسطين وبناء الامة العربية ورسالتها الخالدة .

والسلام .

ـ انتهى ـ

مراجع الكتاب

الكتاب	المؤلف
١ ـ السيرة النبوية الجزء (٣)	ابن هشام
٢ ـ عمرو بن العاص	عباس محمود العقاد
٣ ـ عمرو بن العاص	عبد السلام العشري
٤ ـ عمرو بن العاص	الدكتور حسن ابراهيم حسن
٥ ـ تاريخ الاسلام السياسي	الدكتور حسن ابراهيم حسن
٦ ـ قادة فتح الشام ومصر	اللواء الركن محمود شيت خطاب
٧ ـ الفاروق القائد	اللواء الركن محمود شيت خطاب
٨ ـ فتوح البلدان	للامام أحمد بن يحى البلاذري
٩ ـ فتوح الشام جزء (١)	للامام محمد الواقدي
١٠ ـ الفتوحات الاسلامية	للامام أحمد زينى دحلان
١١ ـ الفتوحات العربية الكبرى	جون باجت كلوب
١٢ ـ فتوح مصر والمغرب	ابن عبد الحكم
١٣ ـ فتح العرب لمصر	الفرد . ج . بتلر
١٤ ـ تاريخ الفتح العربي في ليبيا	الظاهر احمد الزاوي
١٥ ـ نظم الحرب في الاسلام	جمال الدين عياد
١٦ ـ فجر الاسلام	احمد امين
١٧ ـ القومية العربية	ابو الفتوح رضوان
١٨ ـ مدن عربية	نقولا زيادة

١٩ ـ تفسير الجلالين — للامامين جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي

٢٠ ـ الوحدة عسكريا — الفريق الاول الركن صالح مهدي عماش

٢١ ـ محاضرات كلية الاركان العراقية

٢٢ ـ محاضرات الكلية العسكرية العراقية

فهارس الكتاب

١ ـ فهرس الموضوعات

الصفحة

الفصـل الثاني ـ التقدم نحـو فلسطين

الفصـل الثالث ـ تحـرير فلسطين

الفصـل الرابـع ـ تحـرير مصر والاسكندرية

الصفحة

الصفحة

الفصل الخامس ـ تحرير طرابلس الغرب (ليبيا)

الصفحة

الفصل السادس ـ الشخصية الادبية لعمرو بن العاص

٢ ـ فهرس الخرائط

الصفحة

٣ ـ فهرس الصور والرسوم

الصفحة

٤ ـ فهرس الاعلام

ـ أ ـ

- ح -

- خ -

- د -

— ذ —

— ر —

— ز —

— س —

- ش -

- ص -

- ض -

- ط -

— ك —

— ل —

— م —

— و —

— ى —

٥ ـ فهرس الامكنة والبقاع

ـ ا ـ

ـ ب ـ

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

- ز -

- س -

– ش –

– ص –

– ط –

– ع –

- غ -

ـ ف ـ

ـ هـ ـ

ـ و ـ

ـ ي ـ

ثمن النسخة ٤٥٠ فلسا

المؤسسة العامة للصحافة والطباعة
مطابع الجمهورية بغداد